روايات عبير

رائحة الحب الأول

www.elromancia.com

مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

No. 034

روايات عبير

رائحة الحب الأول

كان عطفاً وكرماً بالغين، أن يترك والد (روما) الروحى لها بعد وفاته جواد سبق أصيل. لكن الفتاة الجميلة سرعان ما بدأت تتساءل، إن كان الرجل قد فعل الصواب حقاً أم لا. إذ كان من شروط الوصية التى لا يمكن التغاضى عنها، أن يتولى تدريب الجواد (إيرل بيد جيت)، وهو ما لم ترتح له الفتاة بالمرة.

فبصرف النظر عن غروره وتسلطه، كانت روما على ثقة من أن إيرل لم يكن أميناً على الجواد، وأنه يفضل جواده الخاص على جوادها. ومع ذلك كانت عاجزة عن إثبات ذلك. فكل ما استطاعت أن تثبته لنفسها هو اندفاعها المجنون وراء عواطفها التى تقودها إليه، وتتعلق بين شفافها يوماً بعد يوم ..!!

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

WSalama 01015173873

No.034

روايات عبير

رائحة الحب الأول

سو بيترز

الناشر

اسم السلسلة: روايات عبير

اسم الكتاب: رائحة الحب الأول

الاسم الاصلي: Dangrous Rapture

اسم المؤلف: سو بيترز

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٥١١١/ ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-113-4

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٥

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢١٧

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢

E-mail:darkitab2003@yahoo.com

www.elromancia.com

الـوصيـة

- هل استبعدت حصانى من السباق؟!

سألته «روما» وهى تستدير لتواجهه والشرر يتطاير من عينيها.

وصاحت فيه فى حنق هائل:

- لقد استبعدت «سيلفر كلاود» من السباق. ليس لك الحق فى هذا!

رد مقتضبًا:

- باعتبارى مدرب الخيول فلى مطلق الحق فى ذلك. أعتقد أننى لست مضطرًا لتذكيرك بأنه حسب شروط الوصية، فأنا الوحيد الذى يملك حق تقرير مصير الجواد فى العامين القادمين. وفى رأيى..

صمت لحظة ثم أضاف:

- فمضمار السباق اليوم ثقيل جدًا على كلاود ولن يستطيع الظهور بشكل جيد..

أجابته فى تهكم:

- وأعتقد كذلك، أنه حسب رأيك الثاقب، أن المضمار، مهما كان ثقيلاً، مناسب تمامًا «لمينتى العربى»، أليس كذلك؟

لقد سمح لحصانه الخاص بدخول السباق.

هكذا حدثت نفسها فى مرارة وغضب. وفى الحقيقة فقد كانت هناك ثلاثة جياد من اسطبلاته تخوض السباق وهى الآن تصطف لتدخل عند أكشاك البداية، حصانه الكستانى الضخم ذو البقعة البيضاء على وجهه، بالإضافة إلى جوادين آخرين يقوم بتدريبهما لأصحابهما.

رأت «روما» أن كل الخيول المتسابقة هى ثمانية فقط. كان من المفروض أن تكون تسعة. وسيلڤر كلاود كان سيصبح الحصان الوحيد الرمادى اللون من بينها.

رد قائلاً فى هدوء وبلهجة تقريرية:

- الأرضية الثقيلة لا تسبب مشكلة «لمينتى» فهو حصان أكبر سنًا، وطاقته على التحمل أكبر. كلاود عمره عامان فقط، كما أن بنيانه أضعف. وفيما يخص جوادك، فهذا السباق مما هو إلا تجربة لاختبار قوته من المحتمل أن ينزلق على الأرضية الطرية، ولن أغامر بإجهادها من أجل سباق غير مهم. أريدها أن تبقى فى أفضل حالة لما تبقى من الموسم.

أجابته فى عناد:

- لكن كلاود فازت فى نيوماركت الأسبوع الماضى.

رد إيرل فى نفاد صبر:

- كان ذلك سباقًا للمبتدئين، وكانت أرضية المضمار جيدة. نجيلة أرضية نيوماركت كانت ثابتة وجافة، وليست صلبة أزيد من اللازم.

لكنها أبلت بلاءً حسنًا وفازت بالسباق ولن تنسى روما تلك اللحظات الرائعة عندما استلمت الجائزة وعندما قادت مهرتها إلى منصة الجياد الفائزة.

ومن حينها وهى كلها أمل أن تفوز بسباق اليوم ولكن.. استدارت بعيدًا عنه وخيبة الأمل تشوش منظر الجياد التى أخذت تصطف عند نقطة البداية.

غمغمت تحدث نفسها فى مرارة:

- لكن الأرضية ليست بهذا السوء.

- لقد انطلقوا!

صاح الجمهور فجأة ليخرجها الصوت من كآبتها المشوشة للرؤية، ولترى صف الجياد وهى تنطلق كالسهم المارق من أماكنها عند نقطة البداية.

غمغمت روما فى إحباط:

- لن أشاهدها. إننى حتى لا أريد أن أرى حصانه الملعون و..

لكنها لم تستطع أن تدير ظهرها لساحة السباق. فرغما عنها

التصقت عيناها بذلك الصراع المحتدم من أجل انتزاع التفوق والذى يدور أمامها على مضمار السباق.

- مينتى العربى! مينتى العربى!

صاح الجمهور من حولها فى انفعال طاغ، وحتى من هذه المسافة كان بإمكانها أن ترى كتلاً من الطين وهى تُطير من أثر الحوافر المتسابقة.

كانت الأرضية أطرى فعلاً مما كانت تظن من جهلها لم تدرك مدى قدرة الحوافز على اقتلاع الحشائش والنجيلة الغارقة فى مياه المطر. لكن حتى لك لا يعنى ايرل من المسؤولية عن استبعاد فرسها من السباق دون ن يستشيرها أولاً.

تمتمت روما فى غل:

- أتمنى أن يخسر مينتى.

كان الفرس الكستنائى الرابع فى الترتيب. كانت روما تستطيع أن تميز ألوان الاسطبلات بسهولة بعينيها المجردة.

- مينتى العربى! هيا يا مينتى!

صاح الجمهور يشجع حصانه المفضل، وتساءلت روما إن كان الحصان يستطيع أن يسمع اسمه ينادى عليه ويفهم ما يقال له! أم أن «ميك»، الجوكى الذى يعمل فى الاسطبل، هو الذى يستحث حصانه للإسراع فى عدوه.

وشيئًا فشيئًا تجاوز الفرس الكستنائى الضخم الحصان الثالث، ثم

الثانى، ثم بدأ يلاحق الأول بخطوات واسعة قوية، وكان الفرس الأول حصانًا أسود يركبه جوكى يرتدى سترة حمراء فى أبيض. وحبست روما أنفاسها غير قادرة على مقاومة الانفعال والإثارة التى بدأت تسرى فى كيانها، وصممت ألا يرى إيرل ذلك وكان عقلها يحدثها بأن قراره باستبعاد كلاود كان قرارًا صائبًا، لكن تعجرفه وغروره اللذين منعاه من أن يستشيرها أولاً، أو حتى يخبرها بالأمر، جعلاها تغلى من الداخل.

- يارب مينتى يخسر، فهو يستاهل!

لكن بدا وكأن هذه الأمنية السيئة لن تتحقق. إذ سرعان ما تجاوز «مينتى» المسافة التى كانت تفله عن الأول وصار يعدو بجواره كتفًا إلى كتف.

وزدات الإثارة وزاد الحماس، لكن إيرل بقى واقفًا جامدًا كالصخر يراقب المشهد بمنظاره المقرب فى برود وهدوء عجيبين. وأخيرًا وصل «مينتى» إلى خط النهاية قبل الحصان الأسود بخطوة كاملة. لقد فاز بالسباق!

- أحسنت يا مينتى!

صاح رجل كان يقف بجوارها، وكان يتابع السباق بحماس هائل وبدت عليه الفرحة الطاغية عندما فاز مينتى بالسباق.

غمغمت روما فى دهشة:

- سيظنه الناس صاحب الحصان، لا إيرل.

- هيا بنا.

www.elromancia.com

بادرها إيرل وهو يضع منظاره فى حقيبته ويغلقها ثم يدس ذراعه فى ذراع روما وكأنه لم يحدث شىء بينهما.

وأثار تصرفه البارد غضبها الذى يبدو دائمًا تابعًا تحت السطح كلما كانت مع إيرل.

ودت لو صاحت فيه قائلة: قل شيئًا. افعل شيئًا. على الأقل ابدُ وكأنك سعيد لأن حصانك فاز!!

يالغرور الرجل! إن هدوءه البارد هذا يبدو وكأنه قبول صامت لحقيقة أنه طالما الحصان ملكه فلابد أن يفوز، هذه هى طبيعة الأمور. كان المفروض أن يكون هو الفائز هى كلاود..

ازدردت لعابها فى صعوبة وسألته بصوت بارد:

- إلى أين؟

رد فى بساطة:

- منصة الفائزين بالطبع.

- ليس هناك «بالطبع»، فى هذه الأمور. حدثت نفسها فى ضيق وهو يقودها عبر الناس المحتشدين بالمكان.

كانت تربية الخيول وتدريبها على خوض السباقات هى حرفة إيرل، وكانت ميادين السباق جزءًا من حياته العملية. كان يعلم جيدًا ماذا يفعل ، إلى أين يذهب.

- حاول أن يكون مضيفة جوية لكان اختار مثل حيرتى هكذا طمأنت روما نفسها ولاحت على فمها ابتسامة واهنة عندما تخيلت

«إيرل بيدجيت» فى زى المضيفات الجويات.

- ستندمين على ذلك يا روما.

هكذا قالت لها زميلتها جين عندما أخبرتها بأنها ستعتزل مهنة المضيفة الجوية.

أضافت جين تسألها فى مكر:

- هل تهربين بسبب فليب دين؟

قهقهت روما ضاحكة وأجابتها:

- يا إلهى! لا طبعًا!

وكانت سعيدة لأنها تقول الحقيقة، فصحيح أن فليب الوسيم هو «دون جوان» الخطوط الجوية التى تهيم كل المضيفات اعجابًا به، إلا أن هذا لا ينطبق على روما. وصحيح أيضًا أنها استمتعت بصحبته لبعض الوقت، لكنها كانت صحبة مؤقتة مثل قطعة ثلج على فطيرة، سرعان ما تذوب وتنتهى بعد أسابيع قليلة دونما ندم من أىٍّ من الطرفين.

سألتها جين فى حيرة: إن كنت لا تعانين من حسرة الفراق، لماذا إذن تتركين الخطوط الجوية؟

ثم أضافت فى إلحاح:

- لا يمكنك أن تعيشى دون دخل تنفقين منه على نفسك. كما أنه لن يفيدك الاعتماد على حصان سبق فى تدبير نفقات معيشتك.

أجابتها روما فى هدوء:

- أعلم ذلك ولن أفعله. لست ساذجة إلى هذا الحد.

لكن جين واصلت دون شفقة:

- لو تركت شقتك فلن تجدى مكانًا يؤيك. إن كل ما تركه الرجل لك هو مسكن متهالك وحصان سبق قد يكون انتهى عمره الافتراضى هو الآخر. كيف ستعتنين بالحصان إذًا؟

وقبل أن تستطيع روما التفكير فى الرد واصلت جين فى سرعة:

- أين هذا المسكن على أية حال؟

- وإذا كنت لا تستطيعى الإقامة به حتى يتم اصلاحه فأين ستعيشين إذًا؟

- إن اللوكاندات الريفية ستكون مكلفة لو أقمت بها لوقت طويل.

ردت روما فى صبر وأناة:

- داخل «بيردون كورت» قرب قرية «داون بيردون». سينتهى المتعهدون من اصلاحه قبل أن أتسلمه وحتى حينها فقد اتفقت مع المالك على أن أقيم فى «بيردون كورت» نفسه. لن يستمر ذلك سوى شهر واحد تقريبًا.

تنهدت جين فى ارتياح وقالت:

- الحمد لله! معنى ذلك أن «الكورت» صالح للسكن، حتى ولو كان المسكن غير صالح. بل إننى أظن أن هناك من يسكن فى «الكورت» أليس كذلك؟

أجابتها روما فى هدوء:

- أجل هناك من تقيم فيه. لقد ترك أبى الروحى «الكورت» إلى

حفيده.

سألتها جين فى اهتمام واضح:

- إذن فهناك حفيد؟

ردت روما:

- إننا لم نلتق أبدًا من قبل.

علقت صديقتها ناقدة:

- إنك حتى لم تكونى تعرفين أباك الروحى هذا جيدًا، وهكذا يبدو لى الأمر.

ردت روما:

- لم تكن تلك غلطته. لقد كان يعيش بالخارج بسبب مرض زوجته، وكذلك كنا نحن. فكون أبينا دبلوماسيًا له العديد من العيوب. لقد عشنا فى كل دولة من دول العالم فيما عدا دولتنا، وكثيرًا ما كنا فى دولة غير الدولة التى يقيم بها أبى الروحى فى نفس الوقت. أظن أن آخر مرة رأيته فيها كانت عندما كنت فى الرابعة من عمرى تقريبًا. أما بالنسبة لحفيده فهو مدرب خيول على ما أظن. له اسطبلات ومؤسسة تدريب للخيول فى بيردون كورت. المكان به أراضٍ خالية كثيرة، كما أن السفوح قريبة منه. وهو يعتنى بفرسى من أجلى.

- إنك تتجاوزين حدودك!

بادرها إيرل عندما ذهبت إليه فى «بيردون كورت» لأول مرة.

أجابته روما:

- لقد جئت لأرى المسكن.

كانت تقف فى الحديقة الأمامية التى بدت مهجورة.

رد فى اقتضاب وتجهم:

- إنه ليس للبيع.

أجابته:

- أعلم ذلك و..

لكنه قاطعها مواصلاً كلامه وكأنه لم يسمعها:

- بيردون كورت ممتلكات خاصة. ليس لأحد مطلقًا الدخول إلى أفنيته فيما عداى والموظفين الذين يعملون عندى.

ردت فى ثقة:

- وفيما عدا صاحبة البيت.

أشاح بيديه فى ضيق قائلاً:

- صاحبته مسافرة فى الخارج. أنوى شراءه واصلاحه ليقيم به أحد الموظفين.

أجابته بصوت واضح ولهجة قاطعة:

- إننى أنا مالكة المسكن.

ارتفع حاجباه قليلاً فى دهشة فواصلت قائلة:

- وليست لدى أى نية لبيع ممتلكاتى لأى شخص. وما إن يصبح المكان قابلاً للإقامة به، سأعيش فيه بنفسى.

استعاد ثباته بسرعة ملحوظة وقال:

- لقد سمعت أنك مضيفة جوية كيف يمكن أن يكون منزلى فى «داون بيردون» مفيدًا لك؟ إن أقرب مطار تجارى يبعد عن هنا أربعين ميلاً.

وعلى العشاء فى ذلك اليوم قال لها فى وضوح:

- أنا مصمم على أن امتلك المسكن. يمكنك إستئجار كابينة على الشاطئ لتقضى فيها إجازاتك فستكون أرخص.

ردت فى عناد وتصميم: لكننى لن أتخلى عنه وسأصرف عليه من المال الذى ستجنيه «سيلفر كلاود».

لكنه بدا مصممًا على أن يكسب معركته معها. ولهذا السبب إذًا استبعد كلاود من السباق.

هكذا حدثت روما نفسها وهى تقف معه فى مضمار السباق. إن مدرب الخيول يستخدم معها تكتيكات لا تستطيع أن تقاومها، ليجبرها على الموافقة فى نهاية المطاف على بيع الفرسة والمسكن له. لكنها لن تستسلم ستعمل وتكد لتقف فى وجهه. فكرت فى أن تعمل كمترجمة حرة.

قالت لصديقتها جين المهمومة دائمًا بصالحها:

- لقد جبت العالم شرقًا وغربًا منذ صغرى. فى البداية مع والدىَّ، ثم بعد ذلك فى مهنتى. الآن أريد أن أستقر فى مكان واحد وأكون صداقات، بدلاً هذه المعارف المؤقتة.

ردت جين فى لهجة جافة:

- لقد منحك تجوالك بالعالم اتقانًا جيدًا لست لغات.

ومن هنا، من كلام جين، طرأت لروما فكرة العمل كمترجمة «من منازلهم».

- ليس هناك وقت لأحلام اليقظة.

قالها إيرل فى نفاد صبر ودفعها فى قوة لتواصل السير معه.

أضاف: لابد أن أصل إلى منصة التتويج فى الوقت المناسب لأقود مينتى إلى مكانه.

لو كانت كلاود هى التى اشتركت فى السباق، لكانت هى، روما، الآن التى تقود فرسها إلى منصة التتويج.

تطلعت إلى مدرب الخيول فى ارتياب تجدد مرة أخرى، لكن إيرل لم يكن ينظر إليها، بل كان ينظر أمامه ليشق لهما طريقًا وسط الحشود المجتمعة، وإلى حيث كانت الخيول المشتركة فى السباق تعود من خط النهاية.

سأل إيرل مخاطبًا الفارس: كيف سارت الأمور؟

رد ميك فى حماس:

- لقد كان يعدو كالقطار إنه حتى لا يلهث.

كان الحصان الأسود، الذى حل ثانيًا، يلهث فى شدة وقد بدا عليه الإرهاق، أما «مينتى» فلم يبد عليه التعب.

واصل الجوكى الإيرلندى كلامه قائلاً: مع ذلك فقد كان سباقًا

عنيفًا. انظر ماذا فعلوا بقميصى الحريرى الجميل!

ورأت روما أن قميصه كان ملطخًا بالوحل، بل ووجهه أيضًا!

تابع ميك مازحًا:

- لقد اضطررت أنا ومينتى لأن نسبقهم جميعًا لئلا تتسخ ثيابنا.

أجابه إيرل فى هدوء:

- هيا ساجفف عرق الحصان وأنت اذهب إلى غرفة الميزان.

حاولت روما أن تتخلص من قبضته فأمرها فى حزم:

- ابقى أنتِ معى لكيلا تتوهين وسط الزحام.

وانطلقت فلاشات الكاميرات تومض فى المكان إذ أسرع الصحفيون يلتقطون صورًا للفرس الفائز. ودون أن تدرك أن ذلك يحدث، التقط لها أحد الصحفيين صورة مع إيرل.. جنبًا إلى جنب.

* * *

حجرة مريرة

- صورة رائعة!

هكذا صاحت السيدة مورّاى، مديرة بيردون كوكرت عندما رأت صورة روما مع إيرل فى الجريدة التى أخذت روما تتصفحها على مائدة الإفطار فى الصباح التالى.

ردت روما فى فزع:

- إنها تبدو وكأنها صورة زفاف! لو رأت زميلاتى المضيفات هذه الصورة فستعتقدن أننى أعيش قصة غرامية!

يقولون أن الكاميرا لا تكذب. تأملت روما وجهها البادى فى الصورة وبدأت دقات قلبها تتسارع.

لقد كانت ملامح إيرل هادئة باردة وتبدو فى نظراته الرضا لكن وجهه لا يبوح بشىء. أما وجهها هى.. شهقت روما فى فزع مما رأته.

لقد بدت «كالمفتونة» بوسامته! ارتعدت يدها وأسرعت تلقى بالجريدة على مفرش المنضدة.

كانت الصورة صورة جيدة. فلم تكن مثل معظم اللقطات الصحفية العارضة، لقد كانت واضحة، وكاشفة على نحو مخيف. لقد فضحت مشاعرها الداخلية، والتى أفلحت حتى الآن فى إخفائها، حتى عن نفسها. لكن ها هى الصورة تفضح هذه المشاعر الدفينة أمام العالم كله. أحست روما بخيبة أمل شديد. لقد خذلتها ملامحها.

ارتدت بظهرها فجأة للخلف وسقطت ملعقة القهوة من يدها محدثة ضجيجًا عاليًا من أثر ارتطامها بالطبق، واعتراها شعور آخر بالوهن عندما مرق فى عقلها خاطرًا آخر كأنه ومضة برق، أزاحت كل ما سواها.

لو كانت الصورة قد جعلتها تواجه مشاعرها بكل هذه القسوة، ألا يمكن أيضًا أن تكون الصورة قد كشفت حقيقة مشاعرها تجاه إيرل؟ وإن كان ذلك كذلك..

مرقت خاطرة أخرى تلت الأولى. ماذا سيكون الحال لو أدرك هو ذلك، لكن «لا قدر الله ذلك!»؛

قطبت روما جبينها وشهقت فى جزع. لكن ها هى الصورة موجودة ومكشوفة لكل راءٍ ذى عينين ثاقبتين. ثم إنها لا تستطيع أن تمنعه من تصفح جريدته الصباحية. وإن أدرك حقيقة مشاعرها تجاهه، ألا يحتمل أن يستخدم ذلك كوسيلة ضغط أخرى ليقنعها بالتخلى عن المسكن؟

اعتدلت فى جلستها فجأة مرة أخرى واحتست جرعة متعجلة من قهوتها. ها هى فى لحظة ضعف لم تأخذ فيها حذرها الكافى، تسلم إيرل سلاحًا آخر ليحاربها به على امتلاك إرثها، وهى لا تشك مطلقًا فى أنه لن يتردد فى استعماله ضدها، ما إن يدرك أنه صار ملكًا له.

بث فيها المشروب الدافئ شيئًا من الهدوء.

سحبت نفسًا عميقًا وسألت فى هدوء جاهدة لتتضعه:

- هل رأى إيرل الجريدة بعد؟

أجابتها السيدة موراى:

- أجل. لقد حمل نسخته معه إلى المكتب كما يفعل دائمًا. وهو الآن يثبت نتائج السباق على لوحة الارشادات ليراها فتيان الاصطبل، ثم بعد ذلك تسجل كل البيانات فى الدفتر المخصص لكل حصان.

ردت روما وهى تنهض من كرسيها:

- سأذهب إلى الاصطبلات.

لقد قررت ألا تجعله يعلق صورتها لتكون أضحوكة للفتيان.

حذرتها السيدة قائلة:

- يجب أن ترتدى سترة ثقيلة. الهواء بارد جدًا هذا الصباح.

لكن روما أحست بأنها ليس لديها وقت لارتداء تلك السترة. إنها تريد أن تسرع إلى إيرك وتأمره بتمزيق هذه الصورة السخيفة. وقفت مترددة قليلاً تشاور نفسها.

أضافت السيدة موراى عندما لاحظت ترددها:

- الهواء فى منطقة السفوح يمكن أن يكون قارص البرودة، وخصوصًا فى الصباح الباكر. لا شك أنك لا تودين أن تصابى بنزلة برد تفسد عليك إجازتك هنا، أليس كذلك؟

إذاً فالسيدة موراى هى الأخرى تظن أنها هنا لقضاء إجازة فقط، وأن إيرل لو أرادها أن تبعيه المسكن فسيأمرها بذلك، وتستجيب هى بكل بساطة؟!

كادت تسألها قائلة:

- «أية إجازة؟».

لكنها أدركت نفسها فى اللحظة الأخيرة.

أخيرًا قالت:

- سأصعد إلى غرفتى لأرتدى معطفًا ثقيلاً.

- ترى أى طريق أسلك؟

تساءلت روما فى نفسها بعدها بقليل وقد ارتدت سترة ثقيلة وتجملت على نحو ملحوظ وتعطرت برائحة فواحة. قادتها أصوات الرجال وجلبة النشاط الدائر فى المكان، إلى الاتجاه الصحيح. ورغمًا عنها أحست بالتفاؤل والراحة وهى تعبر الحديقة فى هواء الصباح المنعش.

لقد وصلت فى وقت مناسب. توقفت عند مدخل فناء الاصطبل. كان الغلمان بالفعل يقودون الجياد خارج الاصطبلات استعدادًا للتدريب الصباحى.

بادرها «ستيف»، أقدم الغلمان ورئيسهم قائلاً:

- لو كنت تبحثين عن الريس فهو يتحدث الآن فى الهاتف، سينتهى خلال خمس دقائق على ما أظن.

قررت ألا تدخل له وهو يتحدث فى الهاتف، فلن يعيرها أى انتباه، ولن تعطيه هى الفرصة لذلك. اتجهت إلى مهرتها المفضلة «سيلفر كلاود» وأخذت تربت عليها.

قال لها ستيف:

- حدثيها قبل أن أخرج بها. يجب أن تكونى صداقة عميقة معها، فسوف تقودينها إلى منصات التتويج فى الكثير من السباقات فى المستقبل، فقط لو حالفها القليل من الحظ.

ردت وهى تربت على رأس المهرة فى ود ولطف:

- كان يجب أن تفوز بالأمس، لو أنها هى التى شاركت.

أجابها ستيف فى بساطة:

- ليس مع هذه النوعية من الأرض. لقد أحسن الريس عندما استبعدها من السباق فقد كان سيجهدها دون جدوى ولا زال أمامنا الموسم بأكمله.

رأت روما هرة سوداء صغيرة تمشى فى اطمئنان بين أقدام «كلاود». انحنت تلتقطها قائلة تخاطب الهرة:

- لا تفعلى هذا ثانية أيتها الشقية وإلا داستك كلاود بأقدامها».

أجابها ستيف باسمًا:

- لا لن تدوسها كلاود أبدًا. إنهما صديقتان لا تفترقان أبدًا. لقد ولدت «سواده» فى صندوق العلف الخاص بكلاود، ولقد نشأت بينهما صداقة متينة.

تمتمت روما فى اعجاب:

- إنهما تكونان ثنائيًا غريبًا!

وتطلعت فى انبهار إلى المهرة التى راحت تداعب الهرة الصغيرة بأنفها فى ود وحنان بينما أخذت الهرة تلكمها فى مزاح لطيف.

وافقها ستيف قائلاً:

- أجل. تنشأ صداقات غريبة أحيانًا بين الحيوانات المختلفة. لقد اضطررنا إلى عمل فتحة بمفصلة فى باب الاصطبل لكى تخرج منها «سواده» وتدخل كما تحب. بل إن المهرة تبدو قلقة ومتوترة للغاية عندما تغيب عنها «سوادة» لبعض الوقت. أعتقد أنها تتعلق بها كما يتعلق الطفل بدببوبه.

أجابته روما وهى تتلفت حولها:

- إذا كانت «كلاودت» حريصة على «سواده» ولن تدوسها، فلا أظن الخيول الأخرى كذلك.

ثم اتسعت عيناها دهشة وأسى عندما انزلقت الهرة من بين ذراعيها وهرولت تطارد قشة أخذ النسيم يداعبها ويطيرها فى الهواء.

صاحت روما فى قلق وانزعاج:

- ستدوسها الخيول! هذه الجياد هناك فى الخلف تبدو متوترة ولا

تقف فى هدوء مثل كلاود.

رد ستيف:

- هذه الخيول الصغيرة تكون عادة أكثر حيوية ونشاطًا من المهر. لا تقتربى منها يا آنسة روما، إنك تضعين..

لكنها لم تنتظر لتسمع بقية كلامه، وانصب اهتمامها كله على الهرة الصغيرة. ووثب أحد الأحصنة فى الخلف، وكان أسودًا ضخمًا، ثم هوى يضرب الأرض بحوافره الأربع محدثًا وقعًا مخيفًا، وجزعًا شديدًا على مصير الهرة جعل «روما» تندفع مواصلة مطاردة القطة.

وأخيرًا أمسكت بها، لكن النسيم رفع القشة بعيدًا مرة أخرى فاندفعت الهرة تطاردها من جديد دون خوف من الجياد واندفعت روما بدورها تطاردها من جديد.

ناداها ستيف فى توتر قائلاً:

- آنسة روما-آنسة روما!

لكن صوته ضاع وسط ضجيج اصطدام الحوافر القوية بالأرض. لازال خمسة أو ستة من الجياد الموجودة فى مؤخرة الطابور هائجة ولازال الفلمان يجدون صعوبة فى السيطرة عليها. وتناست روما توترها وخوفها من هذه «الوحوش» وراحت تطارد الهرة وسط الجياد صائحة:

- ابعدى عنها يا «سواده»! بس بس!

وأطلق الغلام الذى كان يمسك بلجام الفرس الأسود، صفيرًا حادًا

جعل الهرة تندفع مذعورة من تحت أقدام الأفراس وتقفز داخلة من فتحة أحد الأبواب بعيدًا عن الخطر.

توقفت روما فى مكانها فجأة. لقد أصبحت الهرة فى أمان الآن. لكن هل روما بنفسها الآن فى أمان؟ بدا أن وجودها وسط الأفراس الصغيرة قد استشار غضبها وأخذت تتقافز وترفس الهواء بأقدامها القوية.

انطلق صوت يشق الهواء صائحًا بها:

- ابقى مكانك!

وثب أحد الجياد على قدميه الخلفيتين وكاد يرفع الغلام الممسك بلجامه معه.

ناشد الغلام روما قائلاً فى جزع:

وتراجعى يا آنسة! اخرجى من هنا، أرجوك!

تلفتت حولها وقد استولى عليها الرعب الشديد. إلى أين تذهب؟ لقد قادتها مطاردتها للهرة إلى الدخول وسط الأفراس الهائجة تمامًا. المخرج الوحيد هو هذه الفجوة فى الخلف. اندفعت تجرى نحوها لكن الفرس الأسود اندفع أمامها وسد الطريق عليها.

أخذ المهر يتقافز فى هياج ويركل الهواء بقدميه فى غضب. جمدت روما فى مكانها وكأنما التصقت قدماها بالأرض.

أيجعل وجود هذه الهرة الصغيرة وسط الجياد، أيجعلها تهيج إلى هذه الدرجة؟ لقد سمعت أن الفيل لا يخاف إلا من الفأر، لكن

هذه الهرة تعيش فى الأصطبل ولابد أن الخيول معتادة على وجودها بينهم..!

- هناك يا ريُس! وسط هذه الأفراس.

سمعت أحد الغلمان يصيح بها ثم سمعت وقع أقدام مسرعة تتجه نحوها. حتى وسط هذه الحوافز المتطايرة فى الهواء! ميزت روما وقع أقدام إيرل تتجه نحوها.

- هيا! تحركى إلى هناك!

أمرها فى حسم ودفع الفرس الأسود جانبًا فى قوة ثم خطا إلى جانبها.

أمسك بذراعها فى قوة قائلاً فى غضب شديد:

- تراجعى. قلت تراجعى إلى الخلف!.

ثم مدت ذراعه القوية وأمسك بلجام الفرس الأسود وأجبره على الهدوء ثم سلمه إلى الغلام، ثم سحبها وراءه وأخرجها من وسط الخيول الهائجة إلى الأمان.

أمرها فى حدة قائلاً:

- هيا اذهبى إلى المنزل واغسليه تمامًا.

سألته فى دهشة بالغة:

- أغسيله؟ ماذا أغسل؟!

هل جُنَّ الرجل؟

سألها فى حدة امتزجت بسخريته اللاذعة:

- فى رأيك ما الذى سبب هياج الخيول بهذا الشكل؟

ردت فى بساطة وتعال:

- لقد جرت القطة واندفعت وسطها، ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ لقد اندفعت وسطها وبدأت تتقافز وترفس وتتحرك فى المكان كله فى هياج شديد.

أجابها فى حدة:

- إن الخيول لم تكن خائفة، بل «مستثارة». وليس لذلك علاقة بالقطة مطلقًا.

ما كان ينبغى لك أن تطاردى «سواده» وسط الخيول. ألا تعرفين ما هو أفضل من مجرد التقافز وسط الخيول وأنت تضمين هذا العطر النفاذ؟!

صاحت فيه فى حيرة وارتباك:

- عطر؟

وما دخل العطر الذى أضعه بهذا؟!

لقد أثار هجومه المفاجئ عليها ارتباكها الشديد.

صحيح أن العطر الى تضعه له رائحة نفاذة، لكن لا يمكن أن يكون هو السبب.

أضافت فى تعالٍ:

- كفى تخريفًا! إنه لم يثيره «مينتى العربى»، فقد مررت عليه وربَّت على رأسه وظل واقفًا فى هدوء. لم يحدث مطلقًا من قبل أن أثارت العطور التى أستخدمها أيًا من الخيول التى ركبتها فى الماضى!!

رد فى اقتضاب:

- «مينتى» حصان مثالى.

صمت لحظة ثم أضاف فى تهكم:

- كما أننى أظن أن الخيول التى ركبتيها فى الماضى ما هى إلا خيول ركوب عادية، أليس كذلك؟

ردت فى حدة:

- وماذا فى ذلك؟ إف..

قاطعها فى نفاد صبر قائلاً:

- إن الخيول النبيلة ليست مثل الخيول العادية. إنها جيدة التربية، نقية السلالة وأقل شىء يثيرها، وأحيانًا تكون ردود أفعالها عنيفة. ولهذا السبب يمكن أن تكون خطيرة.

لكنها أجابته فى عناد:

- لازالت لا أدرى كيف يمكن لعطرى أن يثير هذه الخيول.

لكنها ألقت نظرة جانبية سريعة على الخيول فتأكدت أن كلامه صحيح، إلى حدٍ ما. لقد صارت الخيول أهدأ كثيرًا عن ذى قبل.

- سيد بيدجيت! سيد بيدجيت!

سمعا أحد الغلمان ينادية.

التفتا إلى الغلام الذى أضاف:

- هناك مكالمة هاتفية لك.

رمقها «إيرل» بنظرة أخيرة نافذة ثم استدار على عقبيه وانصرف مبتعدًا عنها.

بدت خطواته على أرضية الفناء الممهد بالحجارة قصيرة وحادة، وسمعت باب المكتب يفتح ثم يغلق فى حدة ليفصله عنها. وليبقيها بالخارج بعيدًا عنه.

استندت فى وهن على بعض الصناديق الخشبية الموضوعة إلى جوار باب الاصطبل وانحدرت من عينيها دموع ساخنة بللت وجنتيها الشاحبتين.

* * *

مجـرد بدايـة

- لقد اتصل المقاول للتو يا سيد بيدجيت وقال إنه يريد أنه يقابلك في المنزل خلال عشرين دقيقة، لو كان ذلك يناسبك؟

هكذا أخبرته السيدة مورّاى وهو يجلس إلى مائدة الطعام مع «روما».

سألتها روما فى دهشة، وهى تزيح طبقها جانبًا:

- المقاول؟

أجابتها السيدة موراى:

- لقد أتى ليرى ما يحتاج إليه المنزل من إصلاح، سيكون شيئًا لطيفًا أن يعاد عمل سقف المنزل وسكته مرة أخرى.

- رد ايرل مقتضبًا:

- أخبريه أننى سأوافيه هناك.

وجرع ما تبقى من قهوته دفعة واحدة ثم نهض وافقًا على قدميه.

قالت روما فى تصميم:

- سآتى معك.

ولم تنتظر رده وإنما نهضت وتبعته إلى الخارج ومشت فى اتجاه السيارة «اللاندروفر».

لم يحاول إظهار لباقته وإبطاء خطواته الواسعة السريعة وكان عليها أن تعدو لتلحق به. وهى تشعر بالغضب الشديد تجاهه لتعجرفه وغروره وتعاليه الذكورى عليها، والذى كان ينطق بالكثير وإن كان لا يقول شيئًا.

تسارعت أنفاسها فى لهاث شديد، من حنقها الشديد تجاهه وكذلك من اضطرارها إلى العدو خلفه. عندما وصل إلى السيارة توجه نحو باب السائق وفتحه دون حتى أن ينظر إليها، بينما أسرعت هى تستدير أمام مقدمتها متجهة إلى الباب المجاور لمقعد السائق.

- لا يمكنه تشغيل السيارة وأنا أقف أمامها.

هكذا حدثت نفسها فى لهاث شديد ومدت يدها فى سرعة لتمسك بمقبض الباب قبل أن يسرع بتشغيل السيارة وينطلق إلى المنزل دونها.

وتساءلت ويدها على المقبض:

- كيف الحال لو كان الباب مغلقًا من الداخل؟

ربما كان «ايرل» يعلم أن الباب مغلق وينوى أن يتركها تصارع المقبض

وهو يعلم جيداً أنها لن تفلح فى فتحه، ومن ثم يستطيع تشغيل السيارة والانطلاق بها دونها منتصرًا مرة أخرى فى صراعها المستميت هذا.

وثبت ذلك الخاطر فيها عزمًا إضافيًا فأمسكت بالمقبض فى شدة وأدارته فى عنف وغضب، لكنها فوجئت بالباب ينفتح بسهولة شديدة لدرجة أن توازنها اختل وكادت تسقط أرضًا لولا أن أدركت نفسها فى اللحظة الأخيرة.

أسرعت تقفز إلى المقعد المجاور لمقعد السائق وهى تشعر بالزهو، ولا تكاد تلتقط أنفاسها من شك اللهاث، بينما أدار (إيرل) محرك السيارة وانطلق بها فى صمت ربما أعمق فى الصمت الذى لفها على مائدة الطعام. لكن على الأقل فهذه المرة لديها ما تشغل بالها به، وهو المناقشة القادمة توًا مع المقاول والتى عزمت على أن تفرض رأيها ورغباتها فيها.

- لقد ألقيت نظرة فاحصة على المكان يا سيد بيدجيت.

هكذا بادرها المقاول عندما قابلهما على الممر الأمامى للمنزل الذى امتلأت أرضية بالحشائش.

أضاف الرجل ذو السترة الزرقاء:

- يبدو البنيان سليمًا تمامًا.

ندت عن روما تنهيدة ارتياح صغيرة لكلامه. كان الكوخ يبدو فى نظرها مكانًا مهجورًا متداعيًا، بينما بدا السقف وكأنه لن يصلح للاستخدام مرة أخرى.

واصل المقاول كلامه فى بساطة قائلاً:

- طبعًا سنضطر إلى إزالة السقف، لكن العروق الخشبية من تحته تبدو صلبة كالصخر. إنها من البلوط، وهى نفس الأخشاب بالمستخدمة فى «الكورث»، ويصعب أن تؤثر ظروف الطقس عليها. لكن المشكلة تكمن فى الكسوة من فوقها.

وأشار بيديه إلى السقف الذى بدا مليئًا بالثقوب والأماكن المعطبة، وأحست «روما» بالامتنان الشديد لأنها لم تكن هى العامل الذى صنع ذلك السقف المتهالك.

سأله المقاول عرضًا:

- يتوقف الأمر فقط على إذا ما كنت تريد أن تكسوه بالقش، أو البوص، فما رأيك.

أجابه (إيرل) دون تردد: البوص طبعًا.

ولم يبال حتى بإلقاء نظرة تساؤل إلى (روما) ليتأكد من رأيها وكأنها كم مهمل لا فائدة منه!

أسرعت تعارضه قائلة:

- بل القش.

ولم تكن ترى فرقًا بين الأنين فالسقف هو السقف. بل إنها لم تكن تدرك أنه سيكون هناك اختيار بين الخامات.

- من حقى أن أختار نوع سقف منزلى الذى سأقيم فيه.

هكذا أضافت وهى تمط حروفها وألقت نظرة قاسية على إيرل وقد صممت ألا تستسلم له، وأن ترغم ذلك المدرب وكذلك المقاول على

الاعتراف بحقوقها كمالكه للعقار.

أجابها المقال وهو يهز كتفيه:

- كما تشاءين يا آنسة.

وفاضت نبراته بالشك من صواب رأيها، ففاض قلب (روما) فى قدميها إذ بدت لهجة الرجل تلمح إلى أنها قد أخطأت مرة أخرى، ومرة أخرى تظهر جهلها أمام (إيرل) فى الوقت الذى من المحتم عليها فيه أن تبدو عليمة وواثقة من نفسها.

قال لها الرجل وهو يحك رأسه بيده فى تفكير:

- المشكلة فى القش هو أنه..

ولم يكمل عبارته وإنما ظل يحك رأسه فى شرود وكأنما يوازن بين شيئين فى رأسه المدبب.

عضت (روما) شفتيها وهى تجبر نفسها على الاستماع إلى كلمات الرجل على مضض. ورفضت فى إصرار أن تنظر ناحية (إيرل)؛ لو فعلت لرأت نظرات التوبيخ فى عينيه وكأنه يريد أن يقول لها:

- «ألم أقلك لكِ؟»

- لا، لن تجعله ينعم بهذا الانتصار الجديد عليها.

أبقت نظراتها الحيرى على وجه المقاول الذى واصل كلامه قائلاً:

- المشكلة فى القش يا آنسة، هو أنه من الصعب الحصول عليه هذه الأيام. ومعنى ذلك أن ننتظر فترة طويلة، حسب ظنى، إلى أن أستطيع الحصول على ما يكفينا منه.

ردت فى حنق:

- ولماذا لا نأخذ من القش الموجود فى الاسطبلات؟ إن بها ما يكفى لألف سقف. لا سقفًا واحدًا!

ها هى قد وجدت للرجل ما يكفيه، وانتظرت وهى تعض شفيتها لترى كيف سيكون رد فعل (إيرل).

«لو قال «لا» فسألكمه فى وجهه!) هكذا وعدت نفسها فى حنق.

- لا يمكنك استخدام قش الاصطبل.

رد إيرل فى بساطة ووضح رافضًا الرفض الذى كانت تتوقعه.

استدارت إليه فى حدة قائلة:

- ولم لا إن شاء الله!! إنك لست فى حاجة إلى فناء كامل ملئ بالقش!! بل إننى سمعت ستيف من يومين يقول أنكم ستزيلون القش القديم وتتخلصون منه لتحضروا بدلاً منه قشًا جديدًا. إنها مجرد حجة تتذرع بها لمضايقتى وحسب!

أجابها إيرل فى هدوء:

- قش الاصطبلات غير مجدى بالمرة لأن..

ردت فى اقتضاب:

- افعل ما تراه مناسبًا.

ثم ازدردت ريقها فى صعوبة وأضافت:

- سألقى نظرة على منزلى المستقبلى.

وهكذا لم تكن تود أن تضيع أى فرصة لتأكيد ملكيتها للمكان. ثم أدارت ظهرها للرجلين، دون حتى أن تنظر إلى (إيرل) لترى رد فعله، ثم انطلقت على الممر المرصوف المجنون الذى بدا وكأنه يحيط بالمنزل كله، لتعود مرة أخرى إلى الممشى الذى يؤدى إلى الباب الأمامى.

صاح بها المقاول قائلاً:

- خذى حذرك يا آنس، فالممر غير ممهد بشكل جيد.

ردت فى امتنان:

- سآخذ حذرى، شكرًا لك.

وابتسمت للمقاول الذى اهتم بسلامتها، لا إيرل هذا الذى وقف جامدًا وكأنه لا يعنيه أن تتعثر وتسقط على ظهرها أو تصاب بأذى!!

غمغمت لنفسها فى ارتياب:

- شكل المنزل فى حاجة للكثير من العمل حتى يصبح صالحًا للاستخدام!

ثم أضافت فى حزم:

- لن أترك «الكورت» حتى أضع يدى على المكان هنا. فلو ذهبت وتركت الساحة خالية لإيرل، فمن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله.

ثم صاحت قائلة:

- إلى متى..؟

ولم تكمل سؤالها إذ سمعت وقع أقدام من خلفها تقترب منها، بل خلفها تمامًا. استدارت فى حدة لترى إيرل بادرها قائلاً:

- من ثمانية إلى عشرة أسابيع، لو دام استقرار الطقس.

صاحت فيه فى ذهول:

- غير معقول! لا يمكن أن يستغرق إصلاح الكوخ عشرة أسابيع كاملة! بهذا المعدل ستَحُلِ رأس السنة قبل..

- إنها غلطة إيرل.

حدثت نفسها فى حنق شديد.

- لابد أنه يتعمد تأخير الإصلاحات على أمل أن يصيبنى الضجر من الأمر كله. ربما يتمنى أن يضطرنى ذلك إلى بيع الكوخ له.

أجابها إيرل فى هدوء:

- أجل سيَحل رأس السنة قبل أن ينتهى العمل فى المكان.. هذا لو أصررت على استخدام القش.

أجابته فى ثبات:

- لقد تركت هذه المسألة للمقاول ليفعل ما يراه مناسبًا. الأمر بيده الآن.

وفجأة أحست إنه غير منتبه إلى كلامها.

أضافت فى حنق:

- يجب عليك على الأقل أن تنصت إلى ما أريد أن أقوله.

ثم شهقت فى فزع عندما وجدته يستدير على عقبيه ويهرول عبر الممر.

أسرعت تعدو وراءه صائحة فى غضب:

- إلى أين..؟

توقف لحظة ليجيبها فى حزم:

- سأذهب لأنزل ذلك الغلام من على شجرة التفاح التى هناك، قبل أن يسقط وتكسر ساقه.

سألته بأنفاس متقطعة:

- أى غلام؟

رد فى نفاد صبر:

- ذلك الغلام هناك الذى تسلق شجرة التفاح القريبة من المطبخ وأخذ يقطف ثمارها.

ثم اندفع يعدو ثم وثب متخطيًا سورين من الشجيرات القصيرة.

أجابته فى حدة، بعد أن أبصرت الغلام:

- اتركه وشأنه، إنه لا يفعل شيئًا خطأً.

سمعها الغلام وأسرع ينزل من على الشجرة لكن (إيرل) كان أسرع منه فأدركه وأمسك به يهزه فى عنف قائلاً:

- أفرغ ما فى جيوبك.

وسقطت من ثياب الغلام ست تفاحات ناضجات.

أجابه الغلام فى فزع شديد:

- لقد استعرت بعض التفاحات وحسب. إن المنزل خالٍ وليس

هناك من سيأكلها.

وانفلق قلب روما من منظر الغلام البائس الذى وقف يرتجف أمام هذا «الوحش» الذى أجابه فى حدة وحزم:

- الاستعارة هى السرقة يا فتى. إن هذه التفاحات ليست لك فلا تأخذها. لو أمسكت بك هنا مرة أخرى فسأعطيك علقة ساخنة لن تنساها أبدًا وسآخذك إلى قسم الشرطة. هيا اذهب من هنا ولا تعدل إلى هنا مرة أخرى.

أطلق الغلام ساقيه للريح ثم عندما صار على مسافة آمنة استدار قائلاً:

- عندًا فيك سآعود إلى هنا وآخذ ما يحلو لى.

قالت له روما فى غضب:

إنها مجرد تفاحات فجة ولم تكن تستدعى أن تفزع الغلام بهذه الطريقة!

رد إيرل بعدما التقط تفاحتين من على الأرض:

- إنها خضراء، نعم، هذا صحيح لكنها حلوة ولذيذة المذاق، ثم لابد أن أخيفهم هكذا لكيلا يعودوا يتسلقون الشجرة ويسقطوا من عليها فيصابوا بأذى.

ثم رما إليها تفاحة مضيفًا:

- هيا أطعميها لفرسك. فهى مثل بنات جنسها لا تستمتع إلا بالثمرة المحرمة؟

التقطت التفاحة الملقاة إليها فى مهارة ثم صاحت به:

- إنك شخص..

قاطعها قائلاً فى حزم:

- إياك!

لكنها طوحت ذراعها فى قوة ثم قذفته بالتفاحة فى وجهه وكادت تصيبه لولا أن انحنى فى سرعة وتفاداها ثم قفز نحوها مطبقًا على ذراعها فى كل قوة قائلاً فى غضب:

- سأجعلك تدفعين ثمن هذا!

* * *

الحقيقة

حرام والله عليكم أن تتلذذوا بأكل فطيرة السيدة مورًاى، بينما أجبرانا على تجرع هذا الطعام الذى لا يصلح إلا للأرانب!

قالها «ميك» نائحًا وهو ينظر إلى الطعام الموضوع أمامه فى امتعاض شديد.

أجابه إيرل فى لهجة حازمة، وهو يجلس على رأس المائدة:

- عندما تعتزل ركوب الخيل، وتتولى تدريبها، يمكنك حينها أن تأكل ما يحلو لك.

رد ميك فى استسلام:

- أعتقد أننى لن أكون مدربًا جيدًا، فلن أطيق التعامل مع أصحاب الخيول..

ثم أسرع يضيف مبتسمًا لروما:

www.elromancia.com

- باستثناء المالكة الحالية طبعًا.

أجابته بابتسامة مماثلة:

- معك حق، فعلاً.

تدخل ستيف، قائلاً:

- لا يجب أن يزيد وزن ميك أوقية واحدة من الآن قبل أن نذهب إلى «أوتيل». إن السباقات الفرنسية كما هو معلوم لكم سباقات سريعة جدًا. كما أن حواجزهم موضوعة هناك للاستعراض فقط، بالمقارنة مع حواجزنا، وأحيانًا تكون السرعة شيئًا يستحق المشاهدة. وينتهى الأمر بالخيول المتنافسة إلى الجرى للنجاة بحياتها، والخروج من الحلبة.

ولم يعلق أحد على كلامه، وخصوصًا روما التى فقدت منذ زمن القدرة على استيعاب مصطلحاته الفنية.

أضاف ستيف:

- لقد سافر الحصانان فعلاً، فهما فى حاجة للتكيف على المكان قبل السباق بأربع وعشرين ساعة.

سألته روما دون اهتمام:

- أى حصانين أرسلت؟

أجابها فى بساطة:

- مينتى العربى وسيلفر كلاود.

رفعت روما رأسها إليه فى حركة سريعة. إذًا فحصانها وحصان إيرل سيتنافسان فى نفس السباق؟

لقد كانا على وشك التنافس من قبل لولا أن سحب إيرل حصانها فى اللحظة الأخيرة. أتراه سيستخدم نفس الذريعة ويسحب مهرتها هذه المرة أيضًا؟

- أتراه يخشى أن تتفوق «سيلفر كلاود» على «مينتى العربى» فى هذا السباق؟

نظرت فى صراحة إلى عينى إيرل ولم تجد بهما أى خوف، بل تحدٍ ظاهر وصريح وشىء آخر كذلك يشع من عينيه. لقد أطلت من عينيه نظرة بأنه يعلم شيئًا أخفاه عنها، وقد جعلها ذلك تشعر بشىء من القلق.

قطع عليها ستيف شرودها سائلاً:

- هل ستأتى معنا إلى «أوتيل» يا آنسة روما؟

تطلعت إليه روما فى شرود فأضاف:

- صحيح أن سيلفر كلاود مستواها يتحسن، لكنك ستسعدين جدًا بالسباق هناك، فهو يعج بصيحات الأزياء.

تدخل إيرل قائلاً فى لهجة حازمة:

- إننا ذاهبون إلى فرنسا فى سباق خيول، وليس لمشاهدة صيحات الأزياء.

ورمته روما بنظرة امتعاض خالص. إنها معه كالمتعلقين بطرفى أرجوحة: لحظة تحبه واللحظة التالية تكرهه!

ردت على الفور قائلة:

- سآتى طبعًا معكم. باعتبارى صاحبة «سيلفر كلاود» فمن حقى تمامًا أن آتى معكم لأشاهد حصانى.

رد إيرل فى اقتضاب:

- ليس هناك وقت لتجددى جواز سفرك، فسنسافر غدًا.

أجابته فى سرعة وتأفف:

- أنسيت أننى مضيفة جوية وجوازى صالح باستمرار؟

لم يكن إيرل يعلم أنها استقالت من العمل، وقد فضلت هى أن يصل على جهله هذا وتدع الكذبة تأخذ مجراها.

أضافت فى سخرية بالغة:

- أقترح عليك أن تعتنى بأمر جوازك. وجواز الحصان، لو لزم الأمر.

رد فى لهجة باردة:

- لقد جددت جوازى للتو. كما أن..

صمت لحظة قبل أن يكمل وهو يرمقها بنظرة منذرة بالضربة القادمة:

- لأنها المرة الأولى التى تسافر فيها «سيلفر كلاود» إلى الخارج، فجوازها جديد تمامًا.

سألت روما نفسها فى عبوس فى الصباح التالى:

- كيف كان لى أن أعرف أن الحصان يحتاج إلى جواز سفر؟

وأسرعت ترمى أشياءها فى عشوائية داخل حقيبة كتفها استعدادًا

للسفر مبكرًا.

غمغمت تحدث نفسها فى تذمر:

- إيرل لا يتغلب علىّ إلا لأنه يعرف أكثر منى عن سباقات الخيول. أما على ظهر الطائرة ونحن فى طريقنا إلى فرنسا فسأعود إلى عالمى الذى أعرفه جيدًا، سيجعلنا ذلك متعادلين، ولو لفترة قصيرة.

عندما وصلوا إلى السيارة التى ستقلهم إلى المطار فتح لها إيرل الباب الخلفى لتجلس بجوار ستيف، بينما أمر ميك بالجلوس إلى جواره قائلاً:

- أريد أن أحدثك فى بعض الأمور حول السباق.

عضت روما شفتها فى حنق.

- صحيح أنها لم تكن تريد الجلوس بجواره فى مقدمة السيارة لكنها كانت تود لو أنه دعاها لتستمتع برفضها له. وتجاهلها إيرل تمامًا وانخرط فى حديث حار مع ميك.

سمعته يقول له:

- احكمه حتى اللفّة الأخيرة ثم اجعله ينطلق. لا تجعله يقترب كثيرًا من الحاجز قبل أن يقفز.

كم هو غريب أن الكل يتحدث عن الحصان باستخدام ضمير المذكر «هو»!

هكذا قالت روما لنفسها. أما مهرتها فهم يتكلمون عنها بضمير المؤنث «هى».

واصل إيرل كلامه قائلاً:

- لا تجعله يرفع رأسه وإلا فسوف يطيح بذراعيك.

أجابه الفارس فى مرح:

- لن أفعل. أنا ومينتى متفاهمان للغاية.

تدخلت روما فى حديثهما قائلة فى دهشة:

- لقد كنت أظن أنك ستركب سيلفر كلاود يا ستيف؟

أجابها ستيف من فوق كتفه:

- بوب هو الذى سيركب كلاود.

وكانت تعلم أن «بوب» هو ذلك الفتى الذى يعتنى بكلاود ومينتى. لقد كان مجرد «صبى» صغير، يتعلم فى الأصطبل ليكتسب الخبرة، وها هو على وشك أن يقود مهرتها ليتنافس مع «ميك» المحنك والأكثر خبرة بالسباقات!

صاحت روما فى غضب:

- لن يستطيع بوب مجاراة ميك!

ثم أضافت فى نفسها فى حنق:

- إن إيرل مصمم على ألا يترك حصانى يفوز.

ثم صرخت فى غضب شديد:

- هل هناك احتمالات فوز فارس متبدئ على فارس محنك وخبير مثل ميك؟

- ما الذى يستطيع بوب أن يفعله؟ ما كان ناقصًا إلا أن تسحب كلاود من السباق!

أجابها إيرل فى حدة:

- بوب سيقود مهرتك وفقًا لتعليماتى أنا!

سألته فى سخرية:

- تعليماتك يا إيرل؟ وما تعليماتك الثمينة هذه بالضبط؟ أعتقد أنك نصحته، بل أمرته بأن يخسر السباق، أن يبقى بالمؤخرة، لكى يفوز حصانك بالجائزة!

رأت الدهشة تقتحم وجهى الجوكى والغلام، بينما زفر إيرل فى ضيق، زفرة حادة واضحة مثل فحيح أفعى محبوسة فى السيارة. استدار فى بطء ليواجهها.

توقفت السيارة وبدا أن قلبها قد توقف معها. نظر إليها إيرل نظرة خدرت حواسها، مثل نظرة قط مفترس إلى فأر صغير وقع فى قبضته، وبدا أن نظراته تكاد تخترق كيانها كله وتصنع به ثقباً هربت منه أنفاسها، وتبعتها شجاعتها.

انكمشت فى مقعدها أمام هذا الغضب الصافى الذى يفوز فى عينيه. لقد اتهمته بالخداع والمكر وعرَّضت صدقه نزاهته المهنية للشك، ومن ثم جرحت كرامته بعمق، والأدهى أنها فعلت ذلك أمام الرجال الذين يعملون عنده.

- إننا نسد طريق السيارات ياريُس.

صاح به ميك المندهش، إذا تصاعدت أصوات أبواق السيارات في

الخلف، تلك التى بدأ قائدوها يقرعونها فى غضب. لكنه لم يتحرك فأضاف ميك متوسلاً:

- يجب أن تتحرك بالسيارة ياريُس، أرجوك لقد بدأت شرطة المطار تنتبه إلينا.

وأخيرًا تحرك إيرك بالسيارة، بعد أن رماها بنظرة جمدت الدماء فى عروقها.

كانوا قد وصلوا إلى المطار وترجلوا من السيارة وقادهم إيرل عبر صالة المطار يرشدهم ويوجههم إلى إجراءات السفر.

تمتمت روما فى تذمر:

- وكأننى لست أعرف كيف أدير شؤونى بنفس!

- لم أصدق عينَّى عندما رأيت اسمك على لائحة الركاب.

هكذا بادرتها جين صديقتها عندما تسلقوا سلم الطائرة.

أضافت جين فى فرح:

- والله أنا حظى جيد. لقد وضعونى على هذه الرحلة فى آخر لحظة لأن المضيفة المقررة لم تستطع الحضور بسبب الانفلونزا. كيف حال التقاعد معك؟

هكذا أنهت كلامها بهذا السؤال المحرج!

- ودحرجت نظرة ماكرة تجاه إيرل.

قطبت روما جفنيها فى انزعاج. أكان يلزم أن تستخدم جين كلمة «تقاعد» هذه؟

هزت رأسها لزميلتها السابقة بطريقة محذرة. من السهل على أى شخص أن يستدرج جين الساذجة لتفضى له بكل شىء، ثم تنظر الآن إلى «إيرل» نظرة إعجاب صريح. لابد أنها الآن تجمع اثنين مع اثنين ليصبح الناتج خمسة!!

قالت روما لنفسها فى يأس:

- لابد أن أحاول ايقاف هذا الغيبة عند حدها بطريقة أو بأخرى. وما إن تحلق الطائرة فى الهواء حتى أتذرع بأى شىء وأذهب إلى غرفة المضيفات.

أجل فما إن تنفرد بجين حتى تسد فمها الثرثار هذا وتجعلها تلتزم الحذر فى كل كلمة تتفوه بها.

ما لجين هذه يبدو من نظراتها أنها تظن أن «روما» وإيرل فى علاقة عاطفية؟!

- ثبتوا أحزمة المقاعد من فضلكم.

انطلق النداء عبر السماعات الداخلية فى الطائرة وبدأت الاجراءات الروتينية المعتادة لبدء الرحلة. ووجدت روما نفسها تقاوم رغبة غريزية تكاد تدفعها للنهوض من مكانها ومعاونة «إيرل» على تثبيت حزام مقعده.

لقد عملت فى الطيران فترة طويلة حتى أصبحت هذه الاجراءات الروتينية جزءًا لا يتجز من حياتها.

لا يجب أن تفيق. إنها الآن مجرد راكبة عادية، مجرد شاهدة للأحداث.

سارت الطائرة على المدرج ببطء ثم توقفت تمامًا وبدا أن الطيار يضغط بقوة على مكابحها، وارتجفت الطائرة فى عنف وكأنها طائر مقيد، وبدا كما لو أن كل بوصة فى آلاتها تصرخ طالبة الفرار من على هذه الأرض الغريبة.

اعترى القلق وجوه بعض الركاب الجدد الذين يسافرون بالطائرة لأول مرة فانطلق صوت جين يقول:

- لا داعى للقلق أيها السادة والسيدات إن الطيار يقوم دائمًا بالتأكد من دقة وكفاءة كل الأجهزة قبل بدء الرحلة. إنه مجرد احتياط أمان روتينى.

ثم بدأ أن الطيار قد استراح لكفاءة الطائرة، إذ هدأ المحرك وسكنت الطائرة ثم علا ضجيجها مرة أخرى، مختلفًا هذه المرة، فلم يكن زمجرة المحركات المكبوتة وإنما رفرفة فرحة لطائرة يستعد للإنطلاق في الجو بحمله الثمين. ثم ارتفع أنف الطائرة وبدأت تحلق فى الهواء فى ثبات.

أبقت روما نظراتها إلى النافذة متحاشية النظر إلى إيرل الجالس بجوارها، لكن دون أن تمسك عيناها بمنظر الريف المترامى من تحتهم كخريطة عملاقة.

ومهما حاولت تشتيت حواسها بعيدًا عنه، فقد كانت كل ذره فى كيانها تقف مترقبة متوترة ممتلئة وعيًا بذلك الرجل الجالس إلى يمنيها والشاغل بوسامته الهائلة فراغًا عزيزًا فى روحها.

ترى فيم يفكر هذا الرجل؟ أتراه خمن حقيقة مشاعرها تجاهه؟

أتراه يشك فيها؟

- أتريدين بعض القهوة؟

كادت تقفز من مكانها عندما اخترق صوته حواجز الشرود التى لفتها من كل جانب. لو ظلت هكذا فلابد أنه سيدرك أن بالأمر شيئًا ما.

لقد كانت غارقة فى خواطرها إلى درجة أنها لم تلاحظ قدوم جين عبر الممر حاملة صينية فى يديها.

بادرتها جين قائلة:

- سأعود فى الحال.

ووضعت الصينية على منضدة المقعد.

- ربما يستبقيها الطيار إلى جواره ويشغلها بالحديث معه. هكذا قالت روما فى نفسها.

لكن جين عادت بسرعة لتقول:

- يرسل الطيار لك تحياته ويسألك إن كنت تحبين الانضمام إليه فى كابينة القيادة.

تنهدت روما فى ارتياح بالغ. أخيرًا جاءتها الفرصة لتهرب من تأثير جاذبية إيرل الطاغية.

ردت فى صوت حاولت أن يبدو هادئًا:

- لم أكن أدرك أننا نطير بالفعل فوق القنال الانجليزى.

لكن جين أسرعت تقضى على آمالها قائلة:

- طبعًا السيد بيدجيت تشمله الدعوة.

رد إيرل باسمًا:

- طبعًا، شكرًا لك.

ونهض واقفًا فى حيوية ونشاط وتطلعت إليه روما بنظرات ملؤها الغضب.

إن حماسته هذه تعكس قدرًا كبيرًا من الاهتمام اللامحدود، لكن أتراه مهتم أكثر بمشاهدة فنيات قيادة الطائرات، أم بهذه المضيفة الحسناء؟!

عندما دخلوا كابينة القيادة فوجئت بأن الطيار ما هو إلا «فليب دين».

بادرها فليب قائلاً بابتسامة عريضة:

- طبعًا أنت تعرفين مساعدى جونى.

ردت فى تردد:

- هذا هو السيد بيدجيت.

بادرها جونى قائلاً فى ود:

- كيف حالك ياروما؟

- ترى ما الذى أتى بك على خط باريس يا روما؟

- هل أنت فى إجازة؟

ونظر إليها وإلى «إيرل» نظرة ذات مغزى وكأنه يتوقع أنهما ذاهبان

إلى باريس لقضاء شهر العسل.

أجابته فى اقتضاب:

- نحن ذاهبون إلى «أوتيل» إلى سباق الخيل.

ثم أضافت على عجل:

- حصانى مشترك فى السباق.

لابد أن هذا سيضع حدًا لنظرات التخمين والشكوك والتوقعات فى عينى «جونى».

أجابها جونى قائلاً:

- ما هو شعورك وأنتِ الآن بين صفوة الأغنياء؟ بالمناسبة ما هو اسم حصانك حتى أراهن عليه عندما أكون بالقرب من أى مضمار لسبق الخيل؟

أجابته قائلة:

- سيلفر كلاود. لو كنتُ مكانك لما غامرت بالرهان عليها فلا أتوقع لها أن تفوز.

تجاهلت نظرة الدهشة فى عينى فليب وأضافت وهى تنظر إلى إيرل فى تعالٍ:

- وإيرل هو مدرب المهرة.

ابتسم جونى قائلاً:

- سيلفر كلاود اسم يناسب مهرة مضيفة جوية.

أسرع فليب يصحح له قائلاً:

- تقصد مضيفة جوية سابقة. لم تعد الخطوط كما كانت منذ تركتينا واستقلتِ.

تأوهت روما فى نفسها حانقة فى شدة. ها هو سرها قد انكشف أمام إيرل وعلم أنها لم تعد تعمل كمضيفة جوية وأنها لا تملك سوى مدخراتها لتنفق منها على نفسها، بالإضافة إلى ما قد تجلبه لها سيلفر كلاود.

لابد أنه من الآن فصاعدًا سيلعب على هذا الحبل ويظل يماطل ويسوِّف معها حتى تنفد كل مدخراتها ولا يبقى أمامها سوى أن تبيعه المنزل والحصان.

يا ليتها لم تكن طلبت منهم مرافقتهم إلى باريس!

صاح فليب فجأة فى مرح:

- انظرى! ها هى باريس.

وانطلق صوته عبر المذياع الداخلى يقول:

- نحن الآن على وشك الهبوط فى مطار شارل ديجول الدولى، نرجو مع جميع الركاب تثبيت أحزمة المقاعد والامتناع عن التدخين. حمدًا لله على سلامة الوصول وشكرًا لكم.

هل يجدى الندم؟

كان مضمار السباق مكتظًا بالرواد.

قال لها ستيف فى زهو:

- لقد قلت لك إنه مضمار يحفل بأحدث صيحات الأزياء. ولو شعرت بالملل من السباق يمكنك أن تتطلعى حولك لتشاهدى هذه الأزياء المتنوعة الجميلة.

نظرت إليه بعنين باسمتين وشعرت بالامتنان لوجوده إذ أنه سيعمل كالحاجز بينها وبين «إيرل».

بدأت الجياد تخرج للسباق شعرت روما بتقلص شديد فى عضلات معدتها. بدت المهرة «كلاود» قلقة ومتوترة وبدأ أن «بوب» يجد صعوبة فى السيطرة عليها. أسرع إيرل إليه وسيطر على المهرة حتى امتطاها الغلام وأمسك بزمامها فى إحكام.

www.elromancia.com

قال إيرل للغلام:

- تذكر التعليمات جيدًا يا بوب.

رد الغلام:

- سأفعل يا سيدى.

- لا تتصرف من تلقاء نفسك وإلا سأحاسبك على ذلك.

- لن أفعل يا ريِّس.

- قدها داخل المضمار لا خارجه.

- حسنًا يا ريس سأفعل.

- اجلس سيطرا على نفسك ولا تدع التوتر يسيطر عليك.

تساءلت روما فى نفسها أهو مضطر للمضى فى توجيه الغلام بهذه الطريقة المريكة؟!

واصل إيرل كلامه قائلاً:

- انظر إليها، إنها لا تزال متوترة. لو حاولت الرفس وإلقاءك من على ظهرها فاحنِ جسمك عليها.

ونادى على الغلام مضيفًا:

- سِرْ بجوار ميك.

وتحرك الفرسان جنبًا إلى جنب وبدا التوتر على «كلاود» بينما بدا مينتى أهدأ.

بادرته روما متسائلة:

- كنت أظن أن الفرسان سافرا بشكل جيد؟

أسرع إيرل يجيبها قبل أن يرد ستيف عليها:

- لقد حدث ذلك، وكلاهما فى حالة ممتازة.

ردت فى سرعة:

- لكن كلاود..

لكنه قاطعها قائلاً فى هدوء:

- الفرسة فى حالة جيدة جداً يا روما، لكن، كل ما فى الأمر أنها تشعر بالتوتر.

أجابته فى غضب:

- لكننى لا أضع أية عطور. ولا حتى ذلك النوع السابق من العطور الذى أخافها.

رد فى هدوء:

- أعلم ذلك. إن الفرسة كما قلت لك متوترة من جو السباق، صدقينى، هذا كل ما فى الأمر. إنها لم تأت إلى «أوتيل» من قبل، وهو سباق جديد عليها.

ثم استدار يلتفت إلى مضمار السباق حيث اصطفت كل الخيول عند بدايته.

صاح ستيف:

- لقد اصطفوا كلهم عند خط البداية الآن.

رفع إيرل منظاره المقرب إلى عينيه ونظرت إليه روما فى غيظ. كيف يمكن لها أن تتحدث مع شخص يضع فوق منخريه هذا المنظار السخيف؟!

صاح ستيف فى حماس شديد:

- لقد انطلقوا ها هو مينتى! وها هى كلاود! انظر هناك!

وسرت عدوى حماسته إلى روما التى أسرعت تلتفت ناحية المضمار فى قلق، لكنها لم تستطع تبين شخصيات الخيول فقد بدت بعيدة ومشوشة . لقد كانت فى حاجة إلى منظار مقرب لتستطيع أن تشاهد السباق بوضوح.

غمغمت تحدث نفسها:

- لابد أن أشترى لى منظارًا قبل السباق القادم.

ونظرت إلى الحواجز الموضوعة فى طريق الخيول. كانت حواجز منخفضة للغاية.

- لكن مع هذه السرعة الرهيبة التى انطلقت بها الخيول فقد بت هذه الحواجز عالية جدًا.

وأحست روما أن قلبها يكاد يتوقف وهى ترى الحصان الموجود فى المقدمة يقفز فى الهواء ليتجاوز الحاجز لكنه أزاحه جانبًا وواصل عدوه المذهل. حدقت روما جيدًا لترى مهرتها وسط سحاب من الخيول المنطلقة فى جنون، يقودها فارس مبتدئ.

صاحت فى توتر وجزع:

- لا تجعلها تسقط الحاجز! لا تجعلها تسقط الحاجز!

صاح ستيف فى انفعال شديد:

- لقد سقط حصان!

بدت عنها شهقة فزع وأحست أن إيرل يقف متجمدًا إلى جوارها. توقفت صيحات الجمهور الفرحة وسرت بينهم همهمات قلقة سريان النار فى الهشيم.

- لقد قفز مبكرًا جدًا فاصطدم بالحاجز!

صاح واحد من المشاهدين وتساءلت روما فى نفسها هل هناك فائدة من معرفة سبب السقوط؟

- تبدلت إثارة الجمهور إلى خوف على الحصان وعلى الجوكى ولأول مرة ترى روما ذلك الجانب المخيف من سباقات الخيل. فبجانب لحظات الانتصار والزهو هناك لحظات الخطر والمصائب.

- إنهم ينطلقون متجاورين جيدًا وسيعرقل هذا الحصان الذى سقط الباقين! ترى هل كلاود من بين هؤلاء الباقين الذين قد يتعثرون فى الحصان الساقط وتسقط بدورها؟

- لقد سقط واحد آخر.. لا. لا. إنه لم يسقط لقد تعثر فقط لكنه مازال يواصل العدو.

سألته روما فى توسل:

- أى واحد هو الذى سقط؟ لم أعد أر شيئًا!!

أجل لم تعد ترى من أثر الدموع التى سدت عينيها.

سألت فى وجوم شديد:

- إن الخيول الأخرى لا تزال تعدو.

- لماذا لا يوقفون السباق ويرون..؟

رد إيرل فى لهجة جافة:

- إنهم هنا ليتسابقوا للأمام وليس إلى الخلف.

صاحت فيه فى غضب:

- كيف يمكن أن تكون متبلد الحس هكذا؟!

رد فى نفاد صبر:

- إنهم ينطلقون بسرعة لا تسمح لهم بالتوقف. لو توقف هؤلاء الذين فى المقدمة فإن الذين خلفهم سيصطدمون بهم ويتكومون فوقهم، وستكون النتيجة مأساة. فلربما لقى أحدهم مصرعه.

سألته فى حرارة:

- فى تخيلك ما الذى يمكن أن يكون قد حدث للجوكى الذى سقط؟

أجابها فى اقتضاب:

- لو كان عنده أقل قدر من الحكمة لتدحرج مبتعدًا عن طريقهم وأبقى يديه فوق رأسه حتى يتخطوه جميعًا؛ ثم ينهض واقفًا ليخرج من المكان.

تدخل ستيف صائحًا فى حماس شديد:

- لقد نهض بالفعل يا ريّس. انظر! ها هو يسير متجهًا إلى جانب التراك، إنه لم يصب بأذى.

أحست روما عندها بموجة من الارتياح الشديد تغمرها حتى إنها شعرت بالوهن الشديد.

واصل ستيف قائلاً:

- إن حصانه لازال يجرى وسط الباقين.

غمغم إيرل وهو يرفع منظاره إلى عينيه مرة أخرى:

- هذه الخيول المنفلتة الزمام خطرة.

سألته روما فى جزع:

- ألا يستطيع أحد الإمساك به؟

سألها إيرل فى نفاد صبر:

- كيف؟

ومع أن سؤالها كان سؤالاً غبيًا إلا أنها أحست بالغضب الشديد من لهجته الحادة معها وغمغمت لنفسها:

- أنت شخص مستحيل! مستحيل!

قال ستيف فى وجوم:

- سيحدث اصطدام آخر عند الحاجز التالى لو لم يتخلصوا من هذا الحصان الطائش.

تابعت روما نظراته إلى حيث الحصان الطائش ينطلق مترنحًا يمنة ويسره وسط الخيول الأخرى التى راح راكبوها يتفادونه فى مهارة بالغة.

غمغم ستيف فى توتر:

- إنه ينطلق بجوار كلاود.

وأحست روما بتقلص شديد فى عضلات معدتها حتى كادت تصرخ من الألم.

صاح إيرل بأعلى صوته:

- انطلق بها يا فتى! انطلق بها!

«بها»؟ لابد أنه يقصد «كلاود» مهرتها، لو كان يقصد حصانه «مينتى» لكان قال «به»! حدقت روما فى المدرب فى ذهول. لقد كان إيرل آخر شخص تتوقع منه أن يشجع مهرتها بهذه الحرارة!

- انطلق بها!..

- آه! هكذا، رائع يا فتى!

صحيح أن السباق كان سريعًا جدًا، لكن سيلفر كلاود وسعت من خطواتها وتجاوزت الحصان الطائش ثم تقدمت بقية الخيول وهى تنطلق كالسهم.

صاحت روما دون أن تدرى:

- هيا يا كلاود ! هيا!

وبالفعل واصلت المهرة انطلاقها حتى تجاوزت جميع الخيول بمسافة كبيرة.

شهقت روما قائلة:

- لا أصدق عينى! إن كلاود ستفوز!

حذرها ستيف بلهجة جافة قائلاً:

- على رسلك فلازال أمامها شوط طويل لتقطعه قبل الوصول إلى خط النهاية، فنظرت إليه روما فى امتعاض وغمغمت لنفسها:

- إنه سيء مثل إيرل!

ثم التفتت إلى الحلبة لتشجع مهرتها فى حماس شديد. وبعد أن وصلت الخيول إلى الحاجز الأخير ثم تخطته صاح ستيف:

- إن كلاود فى المقدمة ومينتى يلاحقها!

وصاحت روما تشجع مهرتها:

- هيا يا كلاود! هيا يا فتاة!

لكن حتى وهى تصيح كان الشك ينهشها. فرغم أنه لم يكن هناك أى اختلاف فى الطريقة التى يعدو بها الفرسان، إلا أن الحصان الكستنائى اللون بدأ ينهب الأرض نهبًا بخطوات واسعة قوية حتى صار خلف كلاود تمامًا ثم بدأ يتجاوزها.

وبدا وكأن ميك كان ينتظرك حتى «اللفّة» الأخيرة ويبقى نفسه خلف كلاود حتى تحين اللحظة المناسبة. وها هى حانت الآن.

- هيا يا كلاود! انطلقى! لا تجعليه يهزمك!

صاحت روما دون جدوى إذ قرب خط النهاية بخطوات غمز ميك حصانه الذى انطلق فى سرعة رهيبة متجاوزًا المهرة وليصل إلى خط النهاية قبلها بخطوة كاملة. وحدث كل ذلك بسرعة البرق حتى إن

رووما ظلت تحدق فى المشهد أمامها فى بلاهة لدقائق قبل أن تستوعب ما حدث.

استدارت إلى ستيف قائلة وهى على شفا البكاء:

- لقد كنت تعلم بالفعل أن كلاود لن تفوز!

وأخيرًا انتهى السباق. ورغم أنه لم يستغرق إلا دقائق معدودة، فإن روما حست بأنه أستغرق حياتها كلها. وعلت صيحات المشاهدين الفرحة وأقبل بعضهم، ممن يعرفون إيرل، نحوه مهنئين.

بادره ستيف قائلاً:

- من هنا يا ريِّس. يمكنك أن تذهب من هنا إلى حيث خانة الفائزين.

وأشار له إلى فرجة وسط الحضور بدا من خلفها ممر يقود إلى حيث أشار.

أمسك إيرل بذراعها قائلاً:

- هيا بنا!

لكنها صاحت فيه فى حدة:

- أبعد يدك عنِّى! لن أشارك فى الاحتفال بغشك وخداعك. لن آتى معك، بل إننى لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى.

أجابها وهو يشدد قبضته:

- لا تتصرفى بطريقة عصبية يا روما. لم يكن فى السباق شىء غريب. هل فقدت عقلك لتتصورى أننى يمكن أن أقامر بتصريح

التدريب الذى أحمله من أجل أن أفوز بسباق واحد؟ مجرد ساعتان.

أجابته فى غضب:

- أجل لقد جننت. لو كان السباق نزيهًا، لماذا إذً لم تفز به كلاود؟

- لماذا لم يطلق بوب لها العنان، مثلها مثل الآخرين؟ لقد كانت تتقدمهم جميعًا و..

قاطعها فى حدة:

- إنها لم تتدخل السباق إلا لتتدرب على أجوائه. لقد قال لك ستيف ذلك على العشاء ليلة الأمس. لقد سمعته بأذنى هاتين يقولها لك. كان عليك أن تنصتى إليه جيدًا..

قاطعته فى ارتباك:

- لقد قال ستيف أن كلاود...

أكمل لها فى سرعة محتدًا:

- تتدرب لا تتسابق. ولو لم يكن هناك ذلك الحصان الطائش لأبقاها بوب فى المؤخرة. إن المهرة كانت هناك لتكتسب الخبرة وحسب. يجب أن تتعلم كلاود مهنتها جيدًا فهى مجرد مبتدئة، مثلها مثل الغلام تمامًا.

أجابته فى بطء:

- إذًا فأنت تقر بأنك قد أمرت الغلام بأن يخسر؟

لم يجبها وإنما رماها بنظرة أكدت لها شكوكها. حدقت فى وجهه قليلاً ثم عزمت على أن تنتقم منه بطريقتها. ستسير معه لكنها سترد

له الصاع صاعين.

عندما وصلوا إلى خانة الفائزين هرول إليهم الصحفيون والمصورون لالتقاط الصور التذكارية وتسجيل الأحاديث الصحفية معه.

بادره أحد الصحفيين قائلاً:

- قف هكذا يا سيد بيدجيت، لنلتقط لك صورة.

وانطلق فلاش الكاميرات من حولهم بينما أردف الصحفى:

- والآن نريد منك تعليقًا على السباق يا سيد بيدجيت.

وقبل أن يفتح إيرل فمه اندفعت روما تقول:

- أنا التى ستعطيكم التصريح المناسب عن هذا المدرب الغش..

ولم تكمل نطق كلمة «الغشاش» إذ أسرع إيرل يضع يده على فمها ويجذبها لتقف إلى جواره رغما عنها وهو يبتسم ابتسامة عريضة سجلتها عدسات الكاميرا.

صاح الصحفى فى حماس:

- عظيم! ابق كما أنت يا سيد بيدجيت صورة أخرى فقط..

وحاولت روما أن تفلت من قبضته لكن دون جدوى. وأخيرًا انصرف المصورون والصحفيون وفاتت عليها فرصة أن تفضحه أمام جرائد انجلترا وفرنسا معًا.

أحست بداور شديد وبأنها تكاد تفقد وعيها وتسقط أرضًا.

أسرع أحد المشاهدين يناولها زجاجة كولا قائلاً:

- خذى هذه، احتفالاً بمينتى العرب.

والتقطت منه الزجاجة ورفعتها إلى فمها وشربتها فى نهم شديد.

أضاف الرجل محدثًا إيرل:

- تلك المهرة الرمادية فرس جيد حقًا. إنها تستحق كل ما يدفع فيها من مال، ما رأيك؟

وقبل أن تتدخل هى أجابه إيرل فى حزم:

- للأسف إنها ليست للبيع يا سيد.

وأطلقت روما تنهيدة ارتياح كبيرة.

رد الرجل:

- خسارة! كم مرة اشتركت فى السباقات حتى الآن؟

أجابه إيرل فى هدوء:

- مرتين حتى الآن.

رد الرجل وهو يهز رأسه:

- عظيم! سباق أو اثنين إضافيين وتصبح فى حالٍ ممتازة. حتى تتعود على جو السباق.

تطلعت إليه روما فى بلاهة لثوان قبل أن تدرك مقصده.

أضاف الرجل:

- ذلك الحصان الذى أسقط فارسه ملكى. لقد أدخلته السباق ليتعود على أجوائه، لكنه لم يحسن التصرف مثل فرستك.

إذاً فمسألة إدخال الخيول السباقات لتتعود على أجوائها شيء عادى، وليس به مكر أو خديعة كما كانت تظن؟! يا لغبائها وحمقها!!

انصرف الرجل واستدارت هى إلى إيرل قائلة فى خجل هائل:

- إيرل... أنا..

لكنه قاطعها بنظرة بعثرتها أشداءً قائلا:

- الآن فقط أدركتِ؟!

* * *

ذكرى باريسية

باريس! مدينة الجمال والحب. أحست روما بأن قلبها ثقيل كالرصاص وهى تسير بجوار إيرل فى شوارع باريس التى طالما جابتها مع زميلاتها المضيفات فى ساعات الراحة.

بادرهم إيرل قائلاً:

- لازال أمامنا ساعتان تقريباً قبل إقلاع الطائرة.

- لنجد مكانًا نأكل فيه.

ولاحت أمامهم مقهى على الرصيف وقادهم إيرل نحوها حيث جلسوا جميعًا، وجلست روما فى صمت، وهى تشعر بالامتنان الشديد لأن ستيف وميك معهما. وانخرط الجوكى والغلام فى حديث باسم مرح حول أحداث السباق.

قال لها ميك فى مرح:

www.elromancia.com

- لقد أدت كلاود بشكل جيد يا روما. ستكون متخطية حواجز جيدة مع مرور الوقت.

ثم ابتسم لها عبر الطاولة وأخذ يلتهم دون خجل شطيرة كبيرة فى تلذذ بالغ.

علَّق ستيف قائلاً:

- نتائج اليوم سترفع أسعار الخيول الجديدة الصغيرة فى سوق الغد. سنعرض اثنان من خيولنا الصغيرة غدًا. أحدهم من نفس سلالة «مينتى العربى» ولذا فلن نواجه أية مشاكل فى الحصول على سعر جيد له.

تدخل ميك سائلاً إيرل:

- هل تفكر فى شراء خيول جديدة لنفسك من السوق هذا العام يا ريِّس؟

أجابه إيرل فى هدوء:

- لا، ليس هذه المرة. لقد نلنا ما يكفينا، وهناك فرسان صغيران ستنتجهما اصطلابتنا سأفوت السوق هذا العام.

وكان ذلك يعنى أنه لن يذهب إلى السوق بنفسه. وشعرت روما بالامتعاض من نفسها لذلك الارتياح الذى غمرها لسماعها هذا منه.

علق ستيف قائلاً:

- ستجدين السوق ممتعًا يا روما.

هل هو توارد أفكار إذًا؟

- أن يعرض عليها طريقًا للهروب هى فى أمسِّ الحاجة إليه؟

أضاف قائلاً:

- لو جئتِ معنا غدًا إلى السوق فستعرفين شيئًا عما يدور خلف الكواليس.

أسرعت تجيبه قائلة فى حماس:

- أجل، أود أن آتى معكم.

نهض إيرل من مكانه فجأة قائلاً:

- انتظرونى هنا فلن أتأخر طويلاً. سأعود فى وقت مناسب لنلحق بالطائرة.

كادت روما تقفز من مكانها فزعًا من نهوضه المفاجئ لكنها تمالكت نفسها فى اللحظة الأخيرة.

أما هو فبعد ما ألقى إليهم بذلك الأمر استدار فى سرعة وغاص وسط الحشوت التى يمج بها الشارع.

انفجرت روما قائلة فى غضب:

- لو كان يظن أنى سأرضى بالبقاء هنا أعد الدقائق حتى يعود فهو إذن واهم!

ثم نهضت من مكانها فى حدة قائلة:

- يمكنكما البقاء هنا كيفما شئتما أنتما الاثنين، أما أنا فسأذهب

لأتجول فى السوق وأتفرج على المحلات قبل أن نعود.

رد ميك فى تردد:

- لكن الريس قال إنه لن يتأخر. لقد قال...

قاطعته فى حدة:

- لا يهمنى ماذا قال.

- إننى لست أعمل عنده، ولست ملزمة بتنفيذ أوامره!

حذرها ستيف قائلاً:

- لا تجهدى نفسك كثيرًا فستنهض مبكرًا فى صباح الغد.

ردت فى حدة:

- هذا أفضل!

ثم جذبت كرسيها فى عنف فاصطدمت ساعة يدها به محدثة فرقعة عالية.

سألها ميك فى قلق:

- ماذا؟ هل انكسرت زجاجتها؟

تحسست زجاج الساعة فى قلق ثم تنهدت فى ارتياح قائلة:

- لا. لا زالت سليمة، الحمد لله.

ثم لوحت لهما بيده مودعة وهى تقول:

- لا تفرطا فى تناول الطعام حتى لا يزيد وزنكما!

ثم انطلقت فى الشارع الذى كانت المحلات تصطف على جانبيه. توقفت أمام أول فاترينة من فاترينات المحلات وأخذت تتأمل الفساتين المعروضة به. ذلك الفستان جميل حقًا. إنه مصنوع من أغلى أنواع الحرير ويحمل اسم بيت شهير من بيوت الأزياء، لقد كان حلم كل امرأة أن ترى مثله يومًا من الأيام.

لماذا إذاً يفرض وجه إيرل نفسه بين عينيها وبين الفستان؟

- لماذا تسمع صوته فى أذنيها، بدلاً من تلك الجلبة المرحة الصادرة عن الحشود التى تتمشى فى الشارع؟

- الآن فقط أدركت؟!

تردد السؤال فى عقلها وهزت رأسها لتنفضه عن خواطرها وواصلت سيرها فى قلق وتوتر وهى ترغم نفسها على التوقف أمام كل محل والتطلع إلى المعروض فى واجهته وتتفحصه باهتمام شديد، رغم أن تفاصيل الفساتين المعروضة لم تفلح فى النفاذ إلى عقلها المشغول بإيرل وسنينه. ولم تدرك كذلك منذ متى وهى تتطلع هكذا فى شرود إلى نوافذ المحلات. لقد بدا وكأنما مر عليها وقت طويل وهى كذلك. نظرت فى ساعتها.

- لم تمر سوى دقائق معدودة. مازال أمامى وقت طويل للمشى حتى نهاية ذلك الصف من المحلات قبل أن أعود.

وعندما أنهت جولتها ووصلت إلى آخر محل نظرت فى ساعتها مرة أخرى. لكان هذه المرة كانت تنظر فيها فى إمعان شديد... وفزع!

- لقد توقفت!

اتسعت عيناها فزعًا وإحباطًا. لازالت عقارب الساعة فى مكانها الذى رأتها فيه عندما نظرت إليها فى المرة الأولى. لابد أن ذلك كان منذ.. منذ.. منذ متى؟

- لابد أنها توقفت عندما اصطدمت بالكرسى!

غمغمت فى توتر وعضت شفتيها فى مرارة. أسرعت تتلفت حولها لعلها ترى أية ساعة معلقة فى حائط إحدى البنايات فى الشارع.. لكن لا شىء.

- يا ليتنى أعرف كم الساعة الآن!

لقد قال إيرل قبل أن يدخلوا المقهى أنه لازالت أمامهم ساعتان على موعد إقلاع الطائرة، ولقد ظلوا يتناولون القهوة لمدة نصف ساعة تقريبًا قبل أن تنطلق هى فى جولتها.

اقتربت منها امرأة قادمة من الاتجاه المعاكس. اعترضت روما طريقها وسألتها بالفرنسية التى تتقنها عن الساعة. أجابتها المرأة فى ابتسام فشكرتها روما على عجل قبل أن يستولى الجزع على عقلها المشوش.

لقد ظلت تتجول هكذا بلا هدف لمدة ساعة تقريبًا!! لا عجب أنها رأت أنها قد استغرقت وقتًا طويلاً! كم هى حمقاء. ها هى لا تعرض نفسها لتوبيخ مستحق من المدرب وحسب، وإنما أيضًا تجعل نفسها عرضة للتجول فى شوارع باريس دون هدف.

إن تذاكر الطائرة مع إيرل، وما عاد أمامها سوى خمس وعشرون دقيقة يتيمة حتى موعد إقلاع الطائرة. إنها تتذكر الآن أنهم استغرقوا حوالى ربع الساعة من المطار إلى مضمار السباق فى رحلة الذهاب.

- تاكسى!

صاحت بأعلى صوتها وهى تلوح لتاكس اقترب منها ثم توقف على ندائها فى حدة

ألقت بنفسها فى السيارة وأمر السائق بالانطلاق.

- يا ليتنى ما أمرته بالانطلاق. إنه سائق فرنسى!

هكذا وبخت نفسها فى فزع إذ أطلق السائق لسيارته العنان وانطلق بها كالمجنون فى شوارع باريس المزدحمة!

ظل السائق يتلوى بالسيارة يمنة ويسرة يتفادى السيارات المارقة إلى جواره أو خلفه أو أمامه، بينما ظلت هى تتقافز رغمًا عنها من جانب إلى جانب.

صاحت به فى فزع وهى تحاول التشبث بأى شىء:

- أريد أن أصل إلى المطار فى الوقت المناسب، وعلى قيد الحياة أيضًا!

ثم أحست بالندم الشديد أن قالت ذلك إذ على صوتها استدار إليها السائق تاركها قفاه يوجه السيارة..

- احذر هذا التاكسى الذى أمامك! احترس!!

لكنها كانت متأخرة فى تحذيرها لثوان قليلة.. مجرد ثوان فاصلة! انحرفت السيارتان قليلاً وتلامسا لمسة خفيفة لكنها أحدثت انبعاجًا إضافيًا إلى جانب كل منهما المتخم بالأنبعاجات المماثلة من حوادث سابقة كهذه.

وحدث المحتم الذى لا مفر منه. فى أى وقت آخر كانت روما ستعتبر المشادة التى تلت ذلك «التلامس الخفيف» حدثًا عاديًا تشهده شوارع باريس كل يوم. لكن ليس الآن.

ـ قفز كلاً السائقين خارج السيارة وبدأ كل منهما يصيح فى وجه الآخر فى غضب. وقفزت روما بدورها خارج التاكسى.

- ألا يمكنكما الهدوء قليلاً يا سادة؟

- لقد أمرتك أن تنتظرين فى المقهى!

انطلق صوت إيرل يشق غبار المناوشة الكلامية بن السائقين ويصل إلى سماعها المشدوهه.

صاح بها وهو يدفعها تجاه تاكسيه:

- هيا ادخلى.

وعندما دخلت لحق بها قائلاً فى حدة:

- لقد أمرتك أن تنتظرينى فى المقهى!

صاحت به فى حدة:

- ولم يعجبنى ذلك، فلست طفلة لأجلس وأنتظرك لتعود حتى

تأخذنى!

رد فى حدة مماثلة:

- إذًا لا تتصرفى كالأطفال! حتى الآن اتهمتنى اليوم بأننى أحاول أن أربح السباق بطرق ملتوية، وبذلت ما فى وسعك للتشهر بى أمام الصحابة لولا تدخلى فى الوقت المناسب.

ردت فى غضب:

- إنها غلطتك أنت. كان يجب أن تخبرنى إلى أين ستذهب بدلاً من تركى هكذا وكأنى لا لزوم لى!

انعطف السائق بالسيارة فى حدة فانقلبت روما على جنبها واصطدمت بإيرل وأحست بأن ما يشبه الصندوق فى جيوبه يكاد يخترق جنبها.

صاحت به فى غضب:

- اتركنى! ساعدنى على النهوض!

رد فى برود:

- ولم أفعل؟

صاحت به وقد أحمر وجهها غضبًا:

- اتركنى بحق الله!

ـ أما كفاك ما فعلته به وبسمعتى عندما تركتهم يلتقطون لنا هذه الصورة البشعة اليوم؟!

رد فى برود:

- آه! لو كنت حقًا قلقة بشأن ما يمكن أن تسببه هذه الصورة لسمعتك فهل يجب أن أذكرك أنا بما كدت تفعلينه بسمعتى اليوم أمام الصحافة؟

ردت فى توسل:

- أرجوك! اتركنى! ماذا سيقول ميك وستيف عنا لو راونا هكذا؟ لقد كدنا نصل إلى المطار ولابد أنهما ينتظراننا خارجه!

رد فى هدوء:

- لست أدرى ما الذى يمكن أن يظناه، لكن ما رايك أن تفعل شيئًا يعاونهما على ذلك؟

***

مواصفات مهمة

- السيد هوريس بلانتاير ينتظرك على الهاتف مرة أخرى يا سيد بيدجيت.

قالتها السدة مورًاى وفى صوتها نبرة تصميم.

رد إيرل وهو يزيح طبقه جانبًا فى غضب:

- يا لهؤلاء المالكين! أما من قانون ليوقفهم عند حدودهم؟ إنها رابع مرة يتصل بى هذا السيد بلانتاير خلال أربع وعشرين ساعة!!

ثم نهض فى غضبه بعد أن استأذن فى اقتضاب من روما وستيف..

كانوا قد عادوا متأخرين ليلة الأمس، ولأنهم كانوا سيستيقظون مبكرًا فى الصباح التالى بسبب السوق، فقد بات رئيس الغلمان ليلته فى «بيردون كورت»، وهو أمر شعرت «روما» بامتنان شديد له. وقد كان جلوسها بجوار «إيرل» فى رحلة العودة بالطائرة من باريس، يمثل عبئًا

نفسيًا لا تكاد تطبيقه.

لقد أبقت «روما» عينيها مغمضتين معظم الوقت، وهى تتظاهر بالنوم لكيلا تجد نفسها مضطرة إلى حديث متوتر لا يجرؤ على البوح بما كان يعتمل فى نفسيهما، وفى نفسه بصفة خاصة من مشاعر وأحاسيس.

وما إن خطوا إلى داخل المنزل إلا وتذرعت بالإجهاد وولت فرارًا إلى غرفتها، تاركة «إيرل» يتحدث إلى «ستيف».

وعلى مائدة الإفطار فى صباح اليوم التالى كان «ستيف» موجودًا بالفعل، أما «إيرل» فلم يظهر له أثر بعد. وكانت تلك هى المرة الأولى، منذ ووصلها إلى «بيردون كورت»، التى يتأخر فيها «إيرل» على الإفطار.

وعلمت أنه لم يغادر غرفته، إذ كانت قد مرت عليها فى طريقها إلى الطابق السفلى، ولم تعلم ولم تبال بالسبب الذى جعله يتخلى عن دقته المعهودة فى الالتزام بالمواعيد، طالما أن لك السبب سيقيها بعيدة عن خطر الانفراد به.

- يبدو الريِّس متضايقًا للغاية.

قالها «ستيف» دون لزوم، إذ كان صوت الحركة العنيفة التى رفع بها إيرل سماعة الهاتف تصل إلى مسامعها بوضوح من الصالة.

أتاهما صوته يقول فى حدة:

- أنا بيد جيت.. أجل أجل أعلم ذلك. لكن «نايت سكاى» فى حالة ممتازة الآن. إن وعكته كانت مجرد أمر مؤقت. مجرد مغص فى المعدة، سببه نهمه الشديد للطعام.

فترة صمت يبدو فيها أن المتحدث على الطرف الآخر لا يعجبه كلام «إيرل».

- أجل أجل أدرك ذلك جيدًا.

أتاهما صوته مرة أخرى ونبراته بنفاد صبره.

ابتسمت «روما» ابتسامة تراقصت حولها عينيها وعلقت قائلة:

- كاد طعامه يبرد.

ثم أرهفت سمعها لتسمع المزيد..

- إذا أكل الحصان طعامه بسرعة فإن معدته تمتلئ بالغازات، تمامًا مثل البشر، وبالتالى لابد أن يشعر بالمغص. لقد أعطيته شربة وقد نجح مفعولها.

يا سيدى لقد فحصته بنفسى فى الأصطبل هذا الصباح وبدا مرتاحًا وفى حالة جيدة، وهادئًا كذلك. سأذهب لأدرب بقية الخيول كالمعتاد، فى وقت لاحق هذا الصباح.

سألت «روما» ستيف فى صوت خفيض:

- نايت سكاى؟

أجابها باسمًا:

- أجل. ذلك الجواد الأسود الضخم ذو الجوارب البيضاء. صاحبه رجل أعمال ثرى، والجواد هو هوايته المفضلة. كما أنه قرة عينه، وقذاة فى عين الريِّس.

ثم كركر ضاحكًا فى صوت مكبوت.

وعلى الفور تذكرت روما ذلك الجواد الذى كاد يقضى عليها فى الأصطبل..

وسألته فى دهشة:

- هل هو حصان سئ إلى هذ الدرجة؟

رد ستيف بنبرة تعاطف واضح مع المدرب:

- لا بل هو جيد، لقد اكتسب خبرة جيدة فى قفز الحواجز، بل إنه فاز ببعض السباقات بالفعل، وحقق مراكز متقدمة فى سباقات أخرى- لكن صاحبه مصيبة ونزلت من السماء! إنه لا يكف عن الاتصال بالرئيس ليلاً ونهارًا للإطمئنان على أن جواده «النفيس» لازال فى حالة جيدة، كما ينبغى لمثله.

وأضاف:

- إنه شخص مزعج جداً ومثير للجلبة مثل الدجاجة التى توشك أن تبيض. و..

قطع كلامه إذ ظهر «إيرل» على عتبة باب غرفة الإفطار وتوجه نحو كرسيه وألقى بنفسه عليه فى ضجر واضح.

زفر فى ضيق قائلاً:

- فليرحمنى الله من هذه الأشكال!

ثم جذب طبقه فى عبوس مضيفًا فى سخط:

- لو كان هناك ما هو أسوأ من أن يكون صاحب الحصان لا يهتم إلا بكم المال الذى سيجلبه له حصانه إذا فاز، فهو أن يقف محدقًا فى

قفاك ويزعجك ليل نهار بأسئلته السخيفة!!

غمغمت «روما» فى عذوبة تفيض غيظًا:

- أو الأسوأ أن تعيش تحت سقف واحد مع صاحب الحصان!

ثم صاحت فى غضب:

- يجب أن تذكر أن أصحاب الجياد هم أولياء نعمتك وهم الذين يدفعون لك المال الذى تشترى به قوت يومك.

أجابها فى غضب:

- وفى الماضى، هه فى الماضى، كان ركاب الطائرات هم أولياء نعمتك الذين يدفعون المال الذى تشترى به قوت يومك، أم تراك نسيت هذا!!

- تدخل ستيف على الفور ليهدئهما قائلاً:

- ربما يشعر السيب بلانتاير ببعض السعادة. المرة القادمة عندما يفوز حصانه بالسباق القادم. إنه أمر محبط بعض الشىء بالنسبة لأصحاب الخيول عندما تخسر أحصنتهم.

ثم التفت إلى روما قائلاً فى ود:

- أعدك بأن نجد لك اليوم شيئًا يعوضك عن خسارة كلاود بالأمس.

ثم نهض مضيفًا:

- والآن يجب أن أذهب، لابد أن أشرف على تحميل الفرسين بأمان، سأستخدم الصناديق المفضلة فهى ستتجر بسهولة وراء

الرينج روفر.

أجابه إيرل بإشارة من يده:

- هذا يروق لى.

تركت روما فهوتها دون أن تكملها ونهضت بدورها قائلة:

- وأنا سأصعد إلى غرفتى لأتجهز للمغادرة.

- ما هذا؟

نطقتها «روما» وتوقفت يدها فى الهواء وهى فى طريقها لالتقاط المشط، عندما وقعت عيناها على صندوق صغير أزرق فى ذهبى يستقر وسيط علبة مساحيق التجميل الخاصة بها.

إن هذا الصندوق الغامض لم يكن هنا على الإطلاق عندما نزلت هذا الصباح للإفطار.

- ليس هذا مثل الصناديق التى اعتاد «فليب» اهدائى زجاجات العطور فيها!

التقطت أصابعها الصندوق وقرأت اسم الشركة المنتجة:

- «فُلِيُر دى..

كان اسم شركة باريسية ذات شهرة عالمية لا تنتج إلا..

- مستحضرات التجميل المصنوعة من «أسس» زهرية. طبعًا!

صاحت فى فرح وانفرجت شفتاها عن ابتسامة جميلة.

- لابد أن ستيف وميك قد تذكّرا!

- أجل لقد ذكر لها ستيف شيئًا «عن تويض عن خسارة كلاود بالأمس».

لابد أن هذا هو التعويض.

تمتمت فى فرح:

- كم هما لطيفان!

ثم استنشقت بعضًا منه وأضافت فى تلذذ:

- الله! كم هو رائع حقًا!

وبعد قليل عندما هرعت لتلحق بستيف كان إيرل قد ذهب، أين؟

- لا يهم.

وجدت ستيف واقفًا بالفعل ينتظرها مبتسماً بجوار الرينج روفر.

باردته فى دهشة:

- لم أكن أظن أنك ستكون مستعدًا بعد! هل الفرسان...

قاطعها مكملاً فى ابتسامة:

- فى السيارة بكل أمان. إن الإغراء بجزرة له مفعول السحر!

ردت روما فى سعادة، وهى تتجه لمقعد الركاب فى السيارة:

- أما أنا فلا أحتاج إلى هذه الجزرة لكى أذهب معك.

أجل فقد كان ابتعادها عن «دائرة تأثير». إيرل ليوم كامل إغراء شديد الفعالية.

رد ستيف وهو يحتل مقعد القيادة:

- سننطلق فى وقت جيد.

تشمم بأنفه الهواء فأضاف فى إعجاب:

- الله! ما هذه الرائحة الجميلة؟

أجابته روما مبتسمة:

- إنها عطرى الجديد!

- إنها رائحة ذكية يا ستيف. هدية جميلة فعلاً!

رد ضاحكًا:

- أعتقد أن الريس تعمد أن يكسب سباقين فى يوم واحد بالأمس، ليستطيع الذهاب إلى «فلير» فى وقت مناسب ليحضر العطر الذى أمر به. لابد أن مبنى الشركة لم يكن يبعد إلا بمقدار ست بنايات عن المقهى الذى كنا نجلس فيه بالأمس عندما تركنا وانصرف.

حدقت فيه روما فى دهشة لحظات ثم سألته فى ذهول:

- هل إيرل هو الذى أمر به؟!!

أجابها ستيف فى ابتسامة تلذذ من يستمتع بمعرفة السر:

- أجل، لقد اتصل بهم قبل أن نرحل صباح الأمس. أنا سعيد حقًا لأنه أعجبك. وكذلك سيسر الريس بذلك.

غمغمت روما فى نفسها فى غضب:

يبدو أنه لم يشتريه أصلاً إلا لأنى ذاهبة اليوم إلى السوق. حسنًا سأقذفه فى وجهه لحظة أن تقع عيناى عليه.

سألها ستيف:

- ماذا كنت تقولين؟

ردت فى سرعة:

- لا شىء لا شىء.

ثم التفت ستيف ناحيته المنزل وقال:

- ها هو الريس قد جاء.

ثم قفز إلى المقعد الخلفى فى حين غمغمت روما فى ارتباك:

- كنت أظن أنه سيبقى فى المنزل؟ لكنك قلت.. كنت أظن أن..

رد ستيف فى ارتياح:

- الريس هو الذى سيقود. حسنًا هذا أفضل بالنسبة لى. أستطيع أن أقود أى شىء له أربع أرجل، لكن هذه المجلات الأربع فلا...

صمت لحظة ثم أضاف باسمًا:

- ست عجلات لو حسبت عجلتى المقطورة فى الخلف.

ولو كانت تعرف لما ذهبت معهم.

- لكن ها هو إيرل قد وصل إلى باب القيادة، ولم يعد هناك من سبيل للهروب.

ثم ظهر وجه من النافذة وسأل ستيف فى حزم:

- هل كل شىء على ما يرام؟

ثم دلف خلف مقود السيارة ورمقها بنظرة طويلة غامضة، وكأنما تعرف على العطر الذى أهداها إليها، رغمًا عنها.

قطع عليها ستيف لب أفكارها قائلاً:

- لقد بدأوا العمل فى المنزل فعلاً، انظرى، لقد أزال العرش فعلاً.

ورغما عنها تحركت رقبتها لتنظر فى اتجاه المنزل.

أضاف ستيف:

- لقد جلبوا بعض البوص الجيد من أجل السطح الجديد. ماذا؟

- يبدون وكأنهم ينوون البدء فى التعريش اليوم!

قال إيرل فجأة:

- راقبى اليسار من أجلى.

لم تكن تدرى أيخاطبها أم يخاطب ستيف، لكن عضبًا عنها تدحرجت منها التفاتة ناحية اليسار تراقب الطريق.

واصل إيرل كلامه قائلاً:

- هذا المنعطف المؤدى إلى الممشى يجب أن يتم تغييره. إن ارتفاع السياج المحيط بالمنزل يجعلك تقود كالأعمى، فخلفك مباشرة منعطف لا يمكنك أن تراه.

قالت روما بنفسها:

- وهل أفعل أنا إلا هذا؟

- أقود نفسى كالعمياء إلى مستقبل غامض مجهول!

لقد وصلت إلى منعطف خطير فى طريق حياتها الشخصية وها هى الصعوبات والقرارات المصيرية تنتظرها، وتسد عليها طريق الرؤية، لذا فلا تعلم أى اتجاه تسلك فى هذا المنعطف الخطير فى حياتها.

لكن إيرل رد فى غلظة:

- عودى إلى طيرانك، وإلى العالم الذى تعرفينه.

تدخل ستيف قائلاً، يغير الموضوع.

- الطريق خالٍ إلى يسارك.

سأله إيرل:

- هل أحضرت معك نقودًا كافية...

- فقد تضطر إلى قضاء ليلتك هناك؟

رد ستيف:

- كثير، رغم أننى قد لا أحتاجها. لقد اتصلت بالموردين هذا الصباح وقالوا أنهم جهزوا عينات السرج، وإذا حالفنى الحظ فسأسوى معهم الطلبية وأرجع فى قطار المساء. هناك قطار مباشر إلى «داوف بيردون» فى التاسعة إلا عشرًا.

سألته روما وهى تزدرد ريقها فى صعوبة:

- ألن تأتى معنا إلى السوق؟

لقد كانت كل ذرة فى كيانها ترتجف رعبًا وترقبًا لوجودها فى

السوق مع إيرل وحدهما، ودون ستيف الذى كانت تجد فيه العازل لذلك التيار الكهربى الذى يسرى فى كيانها كله كلما كان إيرل قريبًا منها.

أجابها ستيف فى بساطة:

- لا، فسابقى بعد أن تنتهى من جيادنا، ثم سأحاول الذهاب إلى الموردين بأسرع ما يمكن.

ثم رمى الحصانين الموجودين فى مؤخرة الشاحنة بنظرة من فوق كتفه وأضاف:

- يبدو أنهما غير قلقين من الرحلة.

ردت روما قائلة فى وجوم:

- شىء فظيع أن تربيهم فقط لتتخلى عنهما فيما بعد، دون أن تدرى ما حدث لهما بعد ذلك.

أجابها إيرل فى لهجة ساخرة:

- لن يفيدك التعلق بالحيوانات. لا تقفى أمامهم. لا تقفى أبدًا أمام أفراس صغيرة.

ردت فى حدة:

- الابد أن تكون هناك فائدة لكل شىء لنرتبط به؟

- إن إيرل هذا له بصيرة نافذة ورؤية صائبة فى الخيول.

قالها أحد الحضور فى حلبة المزاد وأضاف:

- أنا عن نفسى لا أذكر مرة واحدة اشترى فيها إيرل بيجيت حصانًا سيئًا.

نظرت «روما» إلى الرجل فى حيرة. إن الرجل يبدو صادقًا ومن النوع الذى لا يعرف معنى المجاملة. إذًا فما قاله لها إيرل عن «ضرورة أن تتجنب شراء الحصان الذى له عينا الخنزير أو الرأس المفلطحة.. إلخ، لم يكن على سبيل السخرية منها؟ وإنما كان فقط يقول الحقيقة مجردة..

واصل الرجل كلامه قائلاً:

- مع بعض الحظ وفرس واعد، يصبح لديك شىء نادر، حصان سبق متميز.

رد إيرل فى هدوء وبصوت خفيض:

- وكذلك أصحاب الجياد المتميزين نادرين.

استدارت روما فى سرعة تحدق فيه وقد اتسعت عيناها دهشة من كلماته.

لقد كان يهمس بالكلمات، حتى إنها لم تسمعها إلا بصعوبة. إذًا فقد كان يتحدث إليها هى؟

- لا شك أنه لم يبال بتحديد معنى العبارة بأن يضيف ورفيقتنا الحالية متثناة بالطبع!! لقد ترك بقية العبارة معلقة بينهما لتخرج لسانها لها!!

ردت فى غضب:

- ومدربى الخيول المتميزين لا وجود لهم!!

يا لهذا الرجل الذى يتعمد استفزازها والاستهزاء بها بشكل سافر كل لحظة!!

ما إن تضع يدها على «سيلفر كلاود» بشكل قانونى، بعد انتهاء فترة الشرطة فى الوصية، إلا وتأخذها وتهرب بها من «بيردون كورت». أجل إنها لن تبقى تحت رحمة لعبة القط والفأر هذه قطع عليها ستيف أفكارها الغاضبة قائلاً:

- أوه..! السيد بلانتاير قادم إلينا سنهرب بعيدًا عنه أنا..

وانطلق يعدو ثم اختفى وسط الحشود.

علَّق إيرل فى امتعاض:

- أعلم ذلك. لقد لمحته قادمًا نحونا منذ دقيقتين. اللهم أصبرنا على هذه البلية!

وأقبل السيد بلانتاير وببدنه الضخم وعينيه السمجتين صائحًا:

- آه! بيدجيت! لقد توقعت أن أمسك بك هنا اليوم. أريد أن أعرف عن نايت سكاى هل..

قاطعه إيرل قائلاً فى ضجر:

- قلت لك من قبل أن الجواد فى صحة ممتازة. بل إنه سيشترك فى سباق شيلتينهام خلال يومين. وقد أخبرتك فعلاً

بذلك عساك لم تنس!

رد الرجل وهو يغمز بعينيه:

- سأكون هناك.

تدخلت روما قائلة فى سرعة:

- اسمع، ستيف فى الحلبة مع واحد من جيادنا.

ولم تدرِ لماذا تدخلت لتنتقذ إيرل من رذالة هذا الرجل!!

* * *

فى عالم غريب

وقف إيرل يحدق فى صورتها معه يوم السباق والتى توسطت الصفحة الأولى للجريدة التى دسها «السيد بلانتاير» فى يده وانصرف. وظلت ملامحه لا تعكس شيئًا للحظات بدت طويلة توقف لها قلب «روما».. ثم افترش الغضب قسمات وجهه ورفع رأسه يحدق إليها بعينين يتطاير منهما الشرر.

لقد تذكر شكلها فى ذهنه وما كادت تفعله بسمعته لولا أن أوقفها فى اللحظة الأخيرة، وها هى تلك الصورة الملعونة تعيد تلك اللحظة من جديد فى ذاكرته.

انتظرت ثورته لكنه لم يقل سوى:

- يجب ألا نتأخر هنا أكثر من هذا، لقد بعنا الفرسين، وسيعتنى ستيف بأمر التفاصيل. هيا بنا.

أسرعت تسأله:

- ألن تنتظر حتى يأتى ستيف؟

- لو عاد معنا فسنوفر عليه هم انتظار القطار، و..

قاطعها قائلاً فى حزم:

- لا. رحلة العودة ستستغرق وقتاً طويلاً وسيحل الظلام عند الرابعة مساءً! وعندما تنتهى من تناول غدائنا ستكون الساعة قد بلغت الواحدة.

قهقهت ضاحكة وقالت فى سخرية تغيظه ليوافق على انتظار ستيف:

- ماذا؟ هل تخاف من القيادة فى الليل؟

لن يحل الظلام إلا بعد وقت متأخر من المساء. يمكنك الانتظار لساعة أو اثنتين، لنتنظر ستيف، بدلاً من أن تجرجرنا هكذا بمجرد انتهاء المزاد.

رد فى نفاد صبر:

- كل هذه الشمس المشرقة غير مضمونة فمن المحتمل جدًا أن يداهمنا الضباب فى طريق العودة. إننا فى الأسبوع الأول من نوفمبر، لا يونيو.

هزت كتفيها قائلة فى ضيق:

- حسنًا، كما ترى.. فأنت الذى ستقود لا أنا.

أجابها فى حسم:

- أجل الأمر لى أنا وحدى وأنا الذى سأقود، وسنرحل بمجرد أن تنتهى من الغداء.

- لا تنسى تثبيت حزام مقعدك.

أمرها إيرل قبل أن يدلف إلى مقعد القيادة وينطلقا فى رحلة العودة.

أطاعته على مضض، فقد كانت لا تملك إلا أن تطيعه.

كان إيرل سائقًا محنكًا وانطلق فى طريقه بهدوء وتعقل، مراعيًا وجود صندوق أحصنة فى مؤخرة السيارة، واتبع الطرق الفرعية متحاشيًا الطريق السريع. مروا بسلسلة من القرى، ودون أن تدرى وجدت روما نفسها تشعر باسترخاء غريب، ربما لجمال المناظر التى تعانق عينيها أثناء الرحلة.

ومع مواصلة الشمس وحلتها اليومية نحو الغروب حلت على الأفق ظلال برتقالية دافئة حالمة، بينما أبصرت دوما مجموعة من تلاميذ المدارس الذين خرجوا لتوهم من مدارسهم وقد أخذوا يشملون الصواريخ والألعاب النارية ويتقافزون فى مرح لاه. وبدأت روما تعد الألعاب النارية، على الأقل لتشغل نفسها بشىء.

صاحت فى حماس:

- إنها اثنتا عشرة فى تلك القرية وحدها! فى أى يوم نحن؟

لم تكن تدرى أنهم قد اقتربوا من الاحتفال بالعيد السنوى.

رر إيرل فى هدوء:

- غدًا هو الخامس.

سألته فى برود:

- هل ستسمح لغلمان الأصطبل باللهو بالألعاب النارية؟

- يبدو عدد كبير منهم صغيرًا فى السن ويمكنه التمتع بالألعاب النارية.

أجابها فى بساطة:

- سيأذن ستيف لأصغر أربعة من بينهم بالذهاب إلى الاحتفال الذى تقيمه القرية بشرط أن يعودوا فى العاشرة. أما الباقون فسيكونون فى الخدمة على نوبات، طوال الليل.

وهكذا انساب حبل الحديث بينهما، طبعيًا هادئًا حميميًا، دون قصد.

سألته:

- هل يقومون بالخدمة بهذا المعدل فى المعتاد؟

- يوميًا أقصد وطوال الليل.

أجابها إيرل باسمًا:

- لا، لكن فى ليلة المولد يكون ذلك ضروريًا. لا أستطيع المغامرة، ولدى اصطبل ملئ بالجياد الأصيلة. إنها جياد عصبية سريعة التأثر

بأى شىء فجائى وغير عادى. فلو حدث وسقط بالاصطبلات مثلاً صاروخ من تلك الألعاب النارية فإن فرقعته كافية لبث الفوضى فى أنحاء الأصطبل. افضل أن أقى نفسى من ذلك بدلاً من انتظار حدوثه ثم معالجته.

هزت روما رأسها متفهمة وقالت:

- لم أكن أدرك ذلك.

رماها بنظرة جانبية سريعة وهو يقول:

- ولماذا يجب أن تدركى شيئًا كهذا؟

- لا أظن أن المضيفات يمكن أن يفزعن عندما يسمعن صوت فرقعة.

ردت فى سرعة:

- وهل للمضيفات «جلود» ليمتن فيها؟

وانفجر فى الضحك، ولأول مرة تجد روما نفسها معه تضحك فى مرح وعفوية. وسحبت ضحكاتها المرحة نظراته بعيدًا عن الطريق والتفت ينظر إليها، تلك النظرة النافذة الغامضة التى تضمر أكثر مما تظهر، تلك النظرة التى حاولت كثيرًا، لكن دون جدوى، أن تفهمها وتمسك بتلابيب ما ترمى إليه.

عاد يلتفت إلى الطريق أمامه وعلق قائلاً:

- ومع ذلك فلن ترى الكثير من الألعاب النارية فى القرية، فالكثير

من عمال الأصطبل يعيشون فى القرية ويتفهمون الحاجة للإبقاء على هذه الألعاب عند أقل حد ممكن، ولذا فهم يساندونى.

سألته فى دهشة:

- يساندونك؟ على ماذا؟

أجابها فى هدوء:

- شركتى هى التى تموّل المولد والاحتفال فى القرية بشرط أن يقام الاحتفال نفسه فى الطرف الآخر القصى من القرية والبعيد عن «بيردون كورت»، والشرط ألا يشترى من المال الذى ندفعه للقرية إلا الألعاب النارية التى لا تحدث فرقعة.

احتجت روما قائلة:

- لكن الصبية الصغار يحبون الألعاب التى تفرقع.

أجابها بلهجة جافة:

- هؤلاء الصبية آباؤهم يعملون فى اصطبلاتى، لذا فعليهم الرضا بالألعاب البسيطة التى لا تطلق إلا الشرار فقط.

صاحت فى حنق:

- يا للوحشية!

رد فى برود:

- إنه احتياط ضرورى ولابد من اتباعه.

ورماها بنظرة جانبية وكأنما يقول لها أن هذا ليس من شأنها.

صاحت فى غضب:

- لكنه احتياط غير لازم بالمرة! فالقرية بعيدة جدًا عن «بيردون كورت».

لقد استغرقت عمرًا فى المشى إليها يوم أن وصلت.

رد فى حدة:

- تكون المسافة طويلة بين الكورت والقرية لو سرت فى الزقاق. لكن الصوت يا آنسة يسير فى خط مستقيم. والزقاق يتعرج متبعًا مسار النهر، ثم يتلوى على هيئة حدوة الحصان لكى يصل إلى القرية. والأكواخ الموجودة فى طرف القرية، الطرف الأقرب إلى الاصطبلات، تقع على الجانب المواجه للمنتزه الذى يمثل حدود «الكورت». وهى قريبة أزيد من اللازم لو قررت كل عائلة أن تقيم احتفالها الخاص، وتبدأ فى إطلاق الصواريخ النارية التى قد يصل أحدها بسهولة إلى اصطبلاتى.

كانت ضحكاتها قد هربت الآن وعاد جو الخصام يسود بينهما.

رد فى برود:

- لن يمنعك أحد إذا قررت الذهاب للقرية للاحتفال كما تشاءين.

آه لو كان طلب منها أن تذهب معه! لكانت ذهبت معه فى حماس وشغف ومرح ونست الدنيا بما فيها. حتى ولو كانت لا تحب الألعاب

النارية، بل وتموت رعبًا منها! لكن لا فائدة من التمنى..

تمتمت فى وجوم:

- لا أحب الألعاب النارية.

ثم لاذت بالصمت وهى تبكى على تلك اللحظات الجميلة، القريبة والتى صارت الآن بعيدة بعيدة جدًا، عندما كانا يتحادثان فى ود وحميمية وتملأ ضحكاتها سكون المكان.

ورأت بعينين حزينتين الفسق المبكر خارج نوافذ الرينج روفر وقد بدأ يتلاشى بهاء الألوان التى يحفل بها الوادى على جانبى الطريق، ثم أخذ يستقر فى هدوء، بلون رمادى منتظم، عبر حقول الشتاء المجدبة التى كانت انعكاسًا لحالتها النفسية الآن. حتى زجاج السيارة الأمامى بدا وكأنه يغيم أمامها الآن، وكأنما يحاول الإطباق عليها، وقد صارت وحيدة تتلمس طريقها وسط ضباب حيرتها وبؤسها.

- الضباب...؟

اعتدلت فجأة فى جلستها وقد انتزع صوتها عقلها المهموم من شروده العميق.

- ماذا..؟

رد مؤكدًا فى اقتضاب:

- الضباب..

أجابته فى وجوم:

- إنها مجرد شبورة خفيفة.

وارتاحت نفسها قليلاً عندما بدأت مسّاحات السيارة تزيح تلك الغلالة الرقيقة التى تجمعت على الزجاج الأمامى، كاشفة على العالم المحيط بهما مرة أخرى، وإن لم يكن بوضوح تام.

تمتم إيرل فى هدوء:

- ستزداد كثافة.

ردت وهى تخفى توترها.

- لا تكن متشائمًا. إننا نسير بالقرب من النهر.

كان هناك مجرى مائى يتدفق مجرى مائى عبر أحد الوديان على مسافة من الطريق.

أضافت:

- إن الشبورة تسير بحذاء النهر، على ما أظن.. وذلك شىء طبيعى، لكن عندما نبتعد عن النهر، ستزول هذه الغمامة.

أجابها فى غلظة:

- ليست مجرد غمامة، كما أن الطريق لن يفارق النهر، لسوء الحظ. إنه ينزل إلى الوادى ويسير بحذائه طوال الخمسة أو الستة أميال القادمة.

التفتت إليه تسأله فى حدة ونفاد صبر:

- لماذا إذاً سلكت هذا الطريق؟ لابد أن هناك طريقًا آخر كان يمكنك اتباعه؟!

رد بحدة مماثلة:

- أجل هناك طريق آخر، لكنه يبعدنا عن طريقنا ما يزيد على خمسين ميلاً، ولم أجد سببًا واحدًا للسير فيه بينما يكفينا الطريق الحالى تمامًا. ولو كنا بدأنا رحلتنا مبكرًا، فقد كان من الممكن أن نتجاوز هذه المنطقة النهرية فى عز النهار، ونتجنب أى احتمال للتعرض لنزول الضباب مع هبوط الظلام.

ثم رماها بنظرة امتعاض شديد وأضاف فى ضيق:

- هذا لو كنت سيادتك قد استغرقت وقتًا أقل مما ضاع فى تناول طعامك!

صاحت فيه فى غضب:

- معك حق، الآن تلومنى! يا للرجال! لا يرون أنفسهم مخطئين أبدًا!

وتجاهلت أنها هى فعلاً السبب فى هذه الورطة عندما تلكأت فى تناول طعامها حتى يعود ستيف ويلحق بهما ويعود معهما، ولكن ظنها قد خاب.

وفى نفسها المتمردة قالت:

- إنها غلطة إيرل مثلما هى غلطتى تمامًا. أجل فقد كان عليه أن يشرح لى سبب استعجاله العودة إلى «بيردون كورت» بكل هذه السرعة.

وكيف كان لى أن أعرف سبب استعجالهما، طالما لم يشرح لى؟

أجل فلم يبال إيرل ولا ستيف بشرح الموقف لها، فى غرور ذكورى معاد. لقد ظنا أنه يكفى أنهما يريان ذلك، وعليها هى، باعتبارها امرأة، أن تطيعها دون مناقشة.

كانا قد سارا بحذاء النهر لعدة أميال، يقتربان منه أحيانًا ويبتعدان أحيانًا. ومن ساعة مضت، كانت مياهه تتلألأ تحت أشعة الشمس الساطعة. الآن عندما تحدق بعينين قلقتين خارج نوافذ السيارة، لا ترى مياهه مرة أخرى.

وبدلاً من أن ترى النهر، لم تستطع أن ترى إلا وسادة بيضاء ممتدة من الضباب وهى تتلوى وتتكور فوق المياه، وتحجب الوادى الذى بدا الطريق الآن يهبط إليه على نحو حاد.

استدارت فى مقعدها على نحوها وصرخت فى عصبية:

- استدرا استدر..

قاطعها فى هدوء:

- لا فائدة من ذلك.

ثم أضاء المصابيح الأمامية للسيارة وواصل سيره.

صاحت فى عصبية قائلة:

- سأنزل من السيارة.

صاحت فى عصبية وانطلقت يدها نحو مقبض الباب لكنه اعترض

طريقها فى سرعة البرق.

صاح بها فى حدة:

- ابقى كما انت.

ردت فى هستيرية:

- لا أستطيع.. لن أفعل.. اتركنى.. عد من حيث أتينا!

رد فى حزم:

- لا أستطيع الدوران، ليس ذلك آمنًا.

وأضاف:

- لن يكون ذلك آمنًا. إننا خلف منعطف حاد، ولازلنا قريبين جدًا من قمة التل. خطر الوقوف هنا حتى فى ضوء النهار، فضلاً عن التوقف فى مثل هذه الظروف. سأتجه إلى مساحة واسعة مخصصة للدوران. هناك يمكننا التوقف كما نشاء، خارج الطريق، ونبقى هناك حيث ينقشع الضباب.

شهقت قائلة فى فزع:

- ماذا تقول قد لا يحدث ذلك قبل الصباح! لا يمكننا البقاء هنا طوال الليل. لن..

وصاحت روما عندما رأت اللافتة التى تشير إلى المكان المخصص للدوران.

أجابها إيرل فى هدوء:

- حسنًا.

ثم فتح الباب وترجل من السيارة.

صاحت به فى خوف:

- إيرل. لا تتركنى وحدى هنا!

أجابها فى هدوء:

- ابقى كما أنت، فلن أتأخر كثيرًا، اياك أن تنزلى من السيارة وتحاولى اللحاق بى. لا أريد أن أتحسس طريقى وسط هذا الظلام الأبيض بحثًا عنك. وتذكرى أنك لو شعرت برغبة شديدة فى استكشاف المكان فقد تسقطين من على حافة الطريق ونحن الآن فوق قمة تل عال وتحتنا جرف شديد الانحدار.

ثم تركها واختفى وسط الضباب ووجدت نفسها وحيدة فى عالم غريب. أطبق الصمت على المكان وبدأت ترتجف رغم دفء كابينة السيارة. أحست بحركة فى مؤخرة السيارة ثم تبعها صوت فرقعة مكتومة! أحست برعب هائل. ترى هل اصطدمت سيارة أخرى بسيارتهما من الخلف؟ أم هل..؟ لكن ها هو إيرل قد عاد إليها صائحًا فى مرح:

- كاليفورنيا، ها قد عدت.

استدارت تنظر إليه فى سرعة وأطلقت تنهيدة ارتياح طويلة.

أضاف وهو يشير إلى كيسين كبيرين فى يده:

- حان وقت الطعام. سنتناول عشاءنا ثم نبيت ليلتنا فى صندوق الأحصنة.

ردت فى سرعة ودهشة:

- ماذا؟ لا يمكننى أن.

لكنه قاطعها بسرعة قائلاً فى هدوء:

- لا تخشى شيئًا، فالصندوق مقسم إلى جزءين منفصلين تمامًا، وبهما بطاطين على الحوائط، كما أننا يمكننا استخدام البطاطين الجديدة التى معنا.

* * *

الخيار الصعب

- إيرل؟ إيرل؟

نهضت روما واقفة على قدميها فى تثاقل وتشبثت بحائط الصندوق الذى باتت فيه ليلتها.

أجابها من وراء الحاجز الخشبى الذى يفصل بينهما:

- اتركى بطاطينك حيث هى، سأعلقها مرة أخرى على الحوائط.

ثم ظهر وجه من عند مؤخرة المقطورة. كان يبدو منتعشًا وصافى العينين، وكأنما قضى ليلته فى سريره فى «بيردون كورت»، لا صندوق أحصنة خشبى مركون بجانب الطريق.. مد يده إليها وهى تخطو فى حذر خشية أن ينقلب بها الصندوق.

قال فى خفة:

- سأعطيك عشر دقائق لتغسلى وجهك وتمددى ذراعيك قبل أن نتطلق. هناك شلال صغير حيث يهبط جدول من على الصخور، على بعد خطوات قليلة من الطريق. لكن حذار، فهو بارد.

عندما عادت بعد قليل وقد غسلت وجهها وسرى الانتعاش فى بدنها مرة أخرى، بادرها قائلاً:

- يمكنك الآن إلقاء نظرة على المكان، فهو واضح الآن.

كانت الشمس التى استيقظت لتوها، تغسل وجه الوادى بأشعتها الذهبية، وتحول ما تبقى من ضباب فوق صفحة النهر إلى غلالة رقيقة بدأت تتلاشى وتهرب فى ذعر. ولم تخلف وراءها سوى الضوء الرمادى لأحد صباحات نوفمبر الباكرة، والبارد برودة مقيتة تغلغلت فى قلبها وخدرت حواسها المضطربة.

ثم عاونها على الجلوس فى كابينة السيارة ودلف خلف المقود مضيفًا:

- هناك بعض الساندويتشات المتبقية، لو كنت جائعة، وكذلك علبة عصير فواكه.

مدت كفيها إلى الساندويتشات، ليس لأنها كانت تريدها، لكن لأنها كانت تجد فيها شيئًا تشغل بها عينيها الغائمتين إلى حد أنها لم تستطع أن تتبين طرفى اللفة.

ارتجفت أصابعها، وهى تعبث باللفة تصارع لحل ألغازها. التفت إليها إيرل ينظر ما تفعله قائلاً بصوت ضاحك:

- ستتعبين فى محاولة فكها، لكنها على الأقل تبقى الطعام جيدًا.

ولم يتحرك لمساعدتها فاعتراها غضب عارم من إهماله لها، ومن هذه اللفة العنيدة.

- ها هو «بيردون كورت».

أتاها صوته ينتزها انتزاعًا من خواطرها الحزينة. لم تكن تدرك أنهما قد اقتربا إلى هذا الحد من نهاية رحلتهما. بدأت الأكواخ المألوفة تمر على جانبى اليرنج روفر.

لوحت امرأة بيدها لهم محيية، وكانت تقف فى حديقة أمامية تحفل بزور الداليا الفواحة، ولمحت روما صبيًا صغيرًا كانت المرأة، يبدو أنها أمه، قد خرجت لتودعه فى طريقه إلى المدرسة. لكن الصبى لم يلوح لها. وتعرفت روما على الفور ذلك الصبى أحمر الشعر والذى كان إيرل قد ضبطه متلبسًا بسرقة التفاح.

- صاحب العزبة يشير فى زهو لأتباعه!!

هكذا تمتمت فى نفسها فى امتعاض وإيرل يرد التحية بإشارة مرحة من يده.

يبدو أنها بدأت تميل إلى التحامل عليه.. لكن لا يهم إن كان ذلك سيساعدها ويقوى موقفها أمام ذلك المدرب، ويقوم بدور البلسم الشافى لكرامتها التى لا يزال جرحها غصًا نازفًا.

سألته فى حدة:

- لماذا أبطأت السيارة؟

مؤكد أنه لن ينزل ليشتكى للأم من سرقة ابنها لبعض تفاحات تافهات!

أجابها دون اهتمام:

- الخيول قادمة نحونا من ناحية الاصطبلات. إنه وقت خروجها للتمرين. سأتوقف هنا لأفسح لها الطريق لتمر، الزقاق ضيق نسبيًا لو تصادف أن قدمت سيارة أخرى من الاتجاه المعاكس.

ثم توقف عند ثنية الزقاق وظل يتطلع إلى الخيول القادمة وهى تسير فى هدوء فى الزقاق.

كان «بوب»، رئيس الغلمان، يقود الطابور ممتطيًا صهوة «سيلفر كلاود» التى بدت فى غاية الجمال والأناقة، وأحست «روما» بالزهو الشديد وهى تتطلع إليها.

- إنها ملكى!

تمتمت لنفسها فى زهو. كانت لا تزال غير مصدقة أن هذه المهرة الرائعة ملك لها.

انزلقت نظراتها إلى طابور الخيول وبدأت تعدها بطريقة تلقائية. كانت اثنا عشر حصانًا إجمالاً، وهى الدفعة الأولى من الدفعتين اللتين ستخرجان للتمرين. كان بالمقدمة ثلاث أو أربع مهرات، ثم حصانان أكبر سنًا وأكثر قوة؛ وكان حصان إيرل الكستنائى واحدًا منهما. أما الباقى فكانت الأفراس الصغيرة التى رأتها من قبل، تلك الأفراس التى كادت تسحقها تحت سنابكها عندما انطلقت تعدو وسطها بحثًا عن القطة.

لمحت خصلة من الشعر الأحمر الجزرى تظهر فى لمح البرق خلف السياج ثم تلاها فورًا صاروخ نارى انطلق متخطيًا السياج ليسقط

تحت حوافر الخيول تمامًا مطلقًا شرارات كثيرة.

صاحت روما فى فزع:

- إنه صاروخ!

وامتدت يداها فى عفوية لتغطى أذنيها إذ انفجر الصاروخ محدثًا فرقعة عالية ثم قفز فى الهواء مرة أخرى وأطلق فرقعة أخرى عند سقوطه مرة أخرى على الأرض. ومع الفرقعة الثانية ساد الهرج والمرج وسط الخيول.

أسرع إيرل بفتح باب السيارة فى عنف وانطلق يجرى تجاه الصاروخ قبل أن يفرقع للمرة الثالثة، وانطلقت روما دون تفكير وراءه.

- حاسب!

- أمسك! حذار!

- هيه! حاسب!

انطلقت الصيحات الفزعة من كل مكان تحذر غلمان الأصطبل، لكن دون جدوى، إذ أطلق الصاروخ شراراته وفرقع للمرة الثالثة وقفز مخترقًا طابور الخيول، وكأنما هناك يد شيطانية تسحبه، وانفرط عقد الخيل وساد الجنون بينها.

فما كان من ثوان قليلة حتى تحول طابورًا من الخيول الهادئة الجميل التى تسير متتابعة فى وقار ورزانة، إلى حفنة من الحيوانات الغاضبة الفزعة التى أخذت تتقافز فى الهواء وترفس بأقدامها فى رعب شديد من أثر الصاروخ الذى انفجر كالقنبلة تحت حوافرها.

وكان الحصان الأسود أول من ألقى براكبه فى الهواء. إذ صهل الحصان فى صراخ مخيف ووقف على قائمتيه الخلفيتين فطار الغلام الذى كان فوقه عاليًا فى الهواء ثم هبط فى عنف وسط عدة شجيرات شائكة قريبة مطلقًا صراخًا عاليًا فزعًا دلَّ فى بلاغة عن مدى فعالية أشواكها.

وفى أى وقت آخر، فى فيلم كارتون مثلاً، كانت روما ستجد فى ما تراه الآن أمامها شيئًا مضحكًا إلى حد بعيد. لكنها الآن لم تجد فى نفسها أدنى رغبة للضحك. ولم يكن إلا لاعب «الاوديو» هو الذى يستطيع البقاء فوق ظهور هذه الخيول الغاضبة الفزعة التى بدأت تقلد الحصان الأسود، واحدًا بعد الأخر، وتلقى بركابها، واحدًا بعد الآخر كذلك، من فوق ظهورها.

وبدأ غلمان الاصطبل يطيرون فى الهواء فى كل اتجاه، وحدقت روما بعينين مذعورتين فى «سيلفر كلاود» التى انقلبت على ظهرها مع بوب الذى كان يمتطيها وأخذت تضرب الهواء بأقدامها الأربع فى محاولة يائسة للوقوف مرة أخرى والهرب بعيدًا عن ذلك الصاروخ المرعب.

انطلق إيرل يعدو نحو الفرسة.

صاحت روما فى جزع شديد:

- كن حذرًا يا إيرل!

استدار وكأنما أدرك لأول مرة أنها كانت تتبعه وصاح بها:

- ارجعى! عودى إلى السيارة!

وتوقف عندما سمع صراخًا يستحثه من خلفه قائلاً:

- حاسب يا ريِّس! خلفك!

واستدار يواجه طابور الخيول الفزعة مع وقع حوافر تضرب أرضية الزقاق فى شراسة.

صاح إيرل بها:

- انبطحى أرضًا! انبطحى أرضًا يا روما!

واستدار فى رشاقة على كاحليه ينظر إليها، وبينما تخلص حصان قوى مخيف من راكبه وبدأ يعدو نحوهما.

- انبطحى أرضًا!

انبطحى أرضًا؟ أتنبطح أرضًا فى طريق حصان جامح؟ هل جُنَّ إيرل؟ وكأنه يدعوها للانتحار!!

لا.. لا، ما يجب أن تفعله الآن هو أن تعدو وتهرب بكل ما أوتيت من قوة. لكن مالها لا تستطيع التحرك من مكانها وكأنما ثبتت قدماها بالأرض؟

- انطلق الحصان نحوها بسرعة البرق وحدقت فيه روما فى ذهول وكأنما خدرت كل حواسها.

اندفع إيرل نحوها وقفز وكأنه لاعب «رجبى» محترف وأسقطها أرضًا وانبطح بجوارها على الأرض ممسكًا بها بكل قوة.

صرحت فيه فى ذهول:

- انهض! دعنا نهرب! سنتقتل كلانا!

صاح بها فى إلحاح:

- انبطحى فى صمت. لا تتحركى! إنها فرصتنا الوحيدة!

ردت فى رعب هائل:

- إنك ستعرضنا للقتل!

كانا يرقدان فى طريق الحصان الذى أطار الفزع عقله. كانت تحس بالأرض تهتز من أثر ضربات حوافره الغاضبة، وسرى فى بدنها تيار من اليأس الشديد بسبب الكارثة التى توشك أن تحل بها.

ارتجفت فى شدة وهستيرية ودفنت وجهها فى الأرض والحصان يقترب لا تفصله عنها سوى ياردة واحدة، بل نصف ياردة، بل عدة سنتيمترات.. وفى اللحظة الأخيرة وقبل أن يصل إليها بملليمترات قليلة قفز الحصان من فوقها، وكأنما يتخطى أحد الحواجز، واستقر على الناحية الأخرى متجاوزًا كليهما.

لقد أصبحا فى أمان! أحست روما بموجة من الوهن الشديد جعلتها تشعر بالدوار واستلقت فى استسلام على أرضية الزقاق. لكن إيرل لم يتح لها الفرصة لتبقى هكذا إذ أنهضها معه فى سرعة.

وسألها فجأة:

- هل أصبت بأذى؟

هزت رأسها نفيًا فى وهن شديد فأضاف:

- اذهبى واجلسى فى السيارة، حيث ستكونين فى أمان.

ولم تجد فى نفسها القدرة على معارضته وذهبت فى استسلام إلى

السيارة حيث استندت إلى هيكلها المعدنى فى وهن تراقبه فى صمت وهو يهرول ناحية «بوب» الذى وقف مرة أخرى على قدميه، وتنفست روما الصعداء إذ بدا «بوب» سليمًا لم يصب بأذى وبدأ يحاول السيطرة على المهرة. سمعت إيرل يسأل الغلام:

- هل أصبت بأذى؟

وسمعت الفتى يجيبه فى لهاث:

- لا يا ريِّس، لكننى لا أظن أن «ويلى» بخير.

وكان «ويلى» يرقد دون حراك على الأرض وأسرع إيرل يعدو نحوه.

تلاشى وهن روما وتمتمت فى حزم:

- فليقل إيرل ما يشاء.

وهرولت تنضم إليه لتقف بجوار الغلام.

انحنت فوق ويلى قائلة:

- دعنى أساعدكما، أنا متدربة على الإسعافات الأولية. هل تشعر بأى ألم؟

أجابها الصبى وهو يئن:

- لا يا آنسة، لكنه معصمى فقط. لقد سقطت على ذراعى.

أمسكت بذرعه تتفحصه قائلة:

- دعنى أر.

كان ذراع الصبى قد أصيب بسلخ بشع من جراء احتكاكه بأرضية

الزقاق أضافت وهى تخلع وشاحها:

- لنربط هذا حول ذراعك وعلقه فى رقبتك، مجرد احتياط. سآخذه معى إلى السيارة.

ونظرت إلى إيرل بعينين تفيضان بالتحدى.

لكنه أجابها فى بساطة وسرعة:

- هيا يا اذهبى، وسأذهب أنا لأساعد «شين»، إن بقيت أنت منتبهة لويلى.

وهكذا تقبل مساعدتها له فى بساطة ودون تردد، وأحست بالامتعاض من نفسها لذلك الشعور العارم بالفرحة الذى سرى فى كيانها، إذ أنها ولأول مرة لن تكتفى بدور المتفرجة على ما يحدث. توجهت إلى السيارة مع «ويلى» الذى سار مستندًا على ذراعها، بينما هرول إيرل إلى «شين» ليعاونه على الخروج من الشجيرات الشائكة قائلاً:

- يبدو أنه شين أصيب بجراح بشعة من تلك الأشواك..

- إنها مجرد لهو برئ من طفل صغير..

هكذا قالت له روما وهما يجلسان فى ردهة قسم الاستقبال فى مستشفى البلدة بعد دقائق.

رد فى صرامة:

- إن جيمى لم يعد صغيرًا ولابد أن يتعلم كيف يحسب عاقبة تصرفاته. أى واحد من هؤلاء الغلمان كان من الممكن أن يصاب إصابة خطيرة اليوم نتيجة لإلقاء هذا الصاروخ.

ثم صمت لحظات يحدق فى عينيها فى تجهم وأضاف وهو يضغط على حروفه:

- لعلك قد أدركت، وبعد ما شاهدته اليوم، لماذا أصر على عدم السماح بالألعاب النارية المفرقعة، فى احتفالات القرية. لدى خيول تقدر بمئات الألوف من الجنيهات، وأنا مسؤول عنها، وكلها فى حالة ممتازة للسباق. إننى لا أطيق مجرد التفكير فيما سيكون لما حدث اليوم من تأثير على حالتها النفسية واستعدادها للسباق. إن ذلك الحصان الأسود سيشترك فى سباق تشيلتينهام غدًا.

استدارت فى حدة قائلة فى عصبية:

- الخيول! الخيول الخيول! لا تتكلم إلا عن الخيول! منذ ثوان كنت أظن أنك مهموم بأمر هؤلاء الفتية المساكين، لكن طبعًا كل ما يهمك هو خيولك الثمينة!

رد فى برود:

- ركوب الخيول هو جزء من عمل هؤلاء الفتيان وهم يعلمون ما يمكن أن يتعرضوا له من أخطار فى مهنتهم، وكانوا يعلمون ذلك جيدًا عندما تقدموا لطلب هذه الوظائف.

ردت فى حدة:

- إنهم مجرد صبية صغار ولا يمكن أن يتحملوا مسؤولية حيوانات بهذا الحجم! لقد قلت أنت بنفسك أن الخيول الأصيلة شديدة الحساسية وسريعة التوتر ومن الممكن أن تكون خطيرة.

أجابها فى ضجر:

- أيتها المرأة، كم تظنين يجب أن يكون عمر الجوكى المبتدئ؟ أربعين عامًا؟

أجابته فى غضب لم تبال بإخفائه:

- حتى بوب لم يستطع البقاء على ظهر «سيلفر كلاود»، ولو كان «سيك» هو الذى يركبها لاستطاع السيطرة عليها وما كان تركها تقلب نفسها بهذا الشكل كان من الممكن أن تصاب إصابة بالغة بكل سهولة.

رد فى حدة:

- ولا حتى كان بمقدوره ذلك. إن الجوكى المحترف لا يقضى وقته يدرب خيول الاصطبل. إن بوب قادر تمامًا على التعامل مع مهرتك. لكن لو كنت لا تعتقدين ذلك فيمكنك أن تأخذيها وتذهبى بها إلى أى مكان تريدين وتغادرى «بيردون كورت».

أجابته فى مرارة:

- وتلك هى المشكلة، فطبقًا لتلك الوصية السخيفة لا أستطيع التحكم حتى فى مهرتى التى هى ملكى! ولو كان الأمر بيدى لأخذتها بعيدًا عن هنا على الفور. لكن طبقًا لشروط هذه الوصية.

قاطعها فى صرامة قائلاً:

- يمكنك أخذها من هنا بمجرد انتهائها من سباق «فنترز» أما قبل ذلك فلا، فهى مرشحة للفوز به.

أجابته فى غضب:

- وطبعًا فأنت قد أشركت حصانك فى هذا السباق أيضًا، وبالتالى

فلا فرصة لها بالفوز. أكاد أقسم أنك لن تدخلها السباق إلا لتتدرب فقط!

نظر إليها بعينين يتطاير منهما الشرور ورد فى صرامة مخيفة:

- سأشرك سيلفر كلاود فى السباق لتعدو، لتفوز، وليس لمجرد التدريب. ولن أغامر أبدًا بإرباك المهرة بتغير مدربيها. وبعد أن ينتهى السباق يمكنك الذهاب بها إلى أى مؤسسة لتدريب الخيول، كما تشاءين.

***

الحريق

- من حسن حظك أن السيد بيدجيت كان معك كنت ستقعين فى ورطة مخيفة لو كنت انحبست وسط الضباب بمفردك. ما كان يمكنك أن ترى كف يدك الليلة الماضية.

هكذا استقبلتها السيدة مورًاى، مديرة المنزل، عند وصولها إلى المنزل.

ردت روما فى توتر:

- لقد كانت تجربة مرعبة رغم ذلك.

أجابتها السيدة موراى:

- لكن الحمد لله لم يحدث لك مكروه. لقد كنت فى أمان تام مع السيد بيدجيت. المكالمة الوحيدة التى وصلتنا كانت من السيد بلانتاير،

www.elromancia.com

وقد أخبرته أن كلاكما حبس وسط الضباب.

اعترى القلق والضيق ملامح روما عندما جاء ذكر «السيد بلانتاير» فى كلام السيدة. ترى ماذا كان تعليقه عندما عرف أنها قضت ليلتها بمفردها مع إيرل؟

أقبل ستيف نحوها قائلاً فى مرح:

- لقد خمنا أنكما انحشرتما وسط الضباب واضطررتما للتوقف بجانب الطريق.

وأضاف:

- أراهن أنك حمدت الله أنك لم تكونى أنتِ التى تقودين السيارة، أليس كذلك يا آنسة روما؟

- على الأقل فقد كنا كلنا ندرك أنك بخير طالما أنت مع «الريِّس».

لوت روما شفتيها فى امتعاض ظاهر، وإن كانت الفتت جانبًا قليلاً لكيلا يسىء ستيف فهمها. لماذا يرى الجميع فى هذا «المدرب» البطل المنفذ؟

- شىء مقزز!!

تدخل إيرل قائلاً فى سخرية:

- لم تكن فى حاجة لذلك «الاستقبال الحافل» الذى قوبلنا به فى «بيردون كورت» لدى عودتنا.

ثم قص على ستيف بإيجاز ما حدث لطابور الخيول.

أومأ ستيف برأسه قائلاً:

- أعلم ذلك. لقد اتصلت بنا زوجة «ديف» وهى فى حالة هستيرية، لكنها قالت أنك كنت هناك، ولذا فلم أحضر بنفسى وأرسلت إليك ديف مع أربعة من الغلمان وانتظرتك هنا حتى تأتى.

تمتمت روما فى نفسها:

- واضح أنه يظن أنه طالما إيرل موجود، فلا حاجة بهم لأحد غيره!

لكن قبل أن تفتح فمها بشىء واصل ستيف قائلاً:

- ألم يصب غير هذين الغلامين؟

وأشار بعينيه إلى الغلامين الذين ترجلا من السيارة وقد غطت الضمادات أجزاء كبيرة من أذرعها وسيقانها.

رد إيرل فى خفة:

- أجل. يمكنهما الراحة من العمل فى اليومين القادمين. لكن ليس لأكثر من هذا. سأساعد فى الاصطبلات وسأحل محلهما فى نوبة الحراسة الليلة.

سأله أحد الغلامين فى حماس:

- هل يعنى ذلك أننا نستطيع الذهاب إلى الاحتفال فى القرية يا ريِّس؟

تدخل ستيف مزمجرًا فى غضب:

- يا أولاد الـ...

لكن إيرل قاطعه فى حسم قائلاً:

- دعهم يذهبون، إن كانوا يشعرون بأنهم فى حالة تسمح لهم بذلك.

ثم أضاف مبتسمًا:

- لكن عليك أيها الفتيان أن تعودوا بحلول العاشرة، مع بقية الغلمان. ولا تتأخرا دقيقة واحدة بعد ذلك. مفهوم؟

أومأ الغلامان برأسيهما إيجابًا فى فرح وبدا أن حضور الاحتفال سيعالج جراحهما بأكثر ما يمكن أن تفعله أنجح الأدوية!!

تركتهم روما وانطلقت نحو المنزل وهى تغمغم لنفسها:

- سأذهب إلى الاحتفال مع صبية الاصطبل.

لكنها عندما وصلت إلى هناك فى المساء تساءلت:

- ما الذى أتى به إلى هنا؟ ما كان ينبغى لى أن آتى؟

أجل فقد كانت تشعر بالتوتر والقلق من الألعاب النارية، وخصوصًا بعد المأساة التى تسببت فيها تلك الألعاب ذلك الصباح، وعانيتها هى بنفسها.

- أشعر بصداع وسأنصرف. سأذهب سيرًا على قدمى فلربما ساعد هواء الليل المنعش على إزالة هذا الصداع.

هكذا قالت لويلى الذى بدا مستمتعًا بالحفل رغم الجبيرة التى

استقرت فيها ذراعه. عرض عليها ويلى أن يرافقها فى شهامة بالغة، لكنها شكرته وانصرفت.

- ما الذى تفعلينه هنا بحق الجحيم؟!

قفزت روما فزعًا عندما انطلق صوت إيرل من خلف أشجار الزقاق التى كانت تظنها منذ ثوان مجرد جزء من جذع الشجرة.

صاحت فيه فى لهاث:

- يا إلهى! هل تقفز هكذا أمام الناس من خلف الأشجار فى ظلام الليل؟

- لقد كدت أموت من الفزع.

رد إيرل بعينين ضاحكتين:

- ليس من الحكمة أن تسيرى فى الزقاق وحدك فى الظلام.

ضحكت فى سخرية وأجابته:

- لا تكن عبيطًا. لست طفلة لأخاف من الظلام

رد فى حزم:

- إنما أقصد شيئًا أخطر من مجرد أشباح الظلام. السيارات المارة مثلاً..

ثم أسرع يسحبها إلى جانب الزقاق عندما سطع عليهما فجأة أضواء سيارة قادمة من منحنى الزقاق.

أضاف:

- إنك ترتدين ملابس سوداء ولذا فمن الصعب على قادة السيارات أن يتبنوك وسط الظلام، كما أنك تسيرين فى الجانب الخطأ من الزقاق.

أجابته فى تهكم:

- وهل أنت الذى يلبس ثياباً فوسفورية تتلألأ فى الظلام؟

- عمومًا ما الذى أتى بك إلى هنا؟

- لقد وعدت بأنك ستحل محل ويلى وشين إياك أن تقول لى أنك قد قررت أن تستمتع بالمشاركة فى الاحتفال؟

رد فى لهجة باردة:

- على العكس لقد جئت خصيصًا من أجلك.

حدقت فيه فى دهشة وسألته غير مصدقة:

- من أجلى؟

- وكيف عرفت أن.؟

قاطعها فى سرعة:

- لأن زوجة ديف اتصلت بالكورت، وقالت أنها وجدت قفازك، وأنها سوف تعطيه لأحد غلمان الاصطبل ليحضرها لك. كان يجب على أحدهم أن يرافقك إلى المنزل.

أسرعت تجيبه:

- لقد عرضوا علىَّ ذلك، لكننى رفضت فقد كنت أريد أن أختلى

بنفسى.

رد فى قوة:

- يمكنك الاختلاء بنفسك كيما شئت فى اللحظة التى تعودين فيها إلى الكورت. لدى عمل لأعمله يا آنسة.

ردت فى حدة:

- ولم أطلب منك أن تهمله، ولا أن تأتى لتقابلنى. على حد علمى ليس لك أن تهتم بشؤونى وما إن ننتهى من سباق «فنترز» لن تضطر للقلق بشأنى ولا بشأن مهرتى.

رد فى حدة مماثلة:

- أعلمينى بمجرد أن تجدى مدربًا آخر.

أجابته فى ثقة:

- لست أشك أننى سأجد مدربًا لسيلفر كلاود بكل سهولة. ولست أشك فى أننى سأجد العشرات منهم فى السباق غدًا. وسأرتب أمورى مع أحدهم. بل ربما أستشير بلانتاير فى هذا الأمر.

زفر فى سخرية قائلاً:

- بلانتاير؟

- ألم تجدى غيره؟

- إنه شخص مخمور فاسق ولا أنصحك بالتعامل معه فهو ليس من نوعيتك.

ردت فى حدة وتهكم:

- وكيف لك أن تعرف ذلك؟

- إذا أردت أن أسأل هوريس بلانتاير فسأفعل وليس هذا من شأنك أيها السيد المحترم!

- ساكون جاهزًا للرحيل خلال عشر دقائق يا آنسة روما.

هكذا استقبلها ستيف وهو يقف إلى جانب الرينج روفر فى صباح اليوم التالى.

أضاف:

- يجب أن يكون يومنًا جيدًا، فالأدهم يبدو أفضل حالاً بعد تجربته المخيفة بالأمس.

لم تكن قد رأت ميك بعد ومن المؤكد أنه سيذهب معهم، فأين هو؟

سألت ستيف:

- أين الـ...

أسرع يجيبها، دون أن ينتظر باقى سؤالها:

- أين الريِّس؟

- إنه فقط يلقى نظرة على الجواد الذى جمح وفر هاربًا بالأمس فعلى ما استطاع ديف الإمساك به، كان الحصان الغبى قد أصاب نفسه.

سألته دون اهتمام:

- هل ذلك سيء؟

أجابها فى ثقة:

- لا ليس كثيرًا. ها هو الريس قد جاء. سأذهب لأحضر سترتى من حجرة السرج، ثم يمكننا بعدها الانطلاق فى طريقنا.

أسرعت روما تجيبه فى لهاث:

- سأذهب أنا لأحضرها لك..

وهرولت ناحية الحجرة فلم تكن تريد مواجهة إيرل الذى كان ظله قد ظهر عند باب الاصطبل.

ناداها ستيف قائلاً:

- لا تفتحى النور يا آنسة روما فالمفتاح عطلان وقد يكون به ماس.

ردت من الداخل صائحة:

- لن أفعل.

عندما خرجت حاملة سترة ستيف حياها ميك قائلاً:

- أرجو أن يكون حظنا مع الطقس اليوم جيدًا.

رد إيرل وهو يرمى نظرة توبيخية على روما:

- هذه المرة سنعمل حسابنا أن نتحرك فى طريق العودة مبكرًا.

توردت وجنتاها غضبًا وأجابته فى حدة:

- والله لقد كنت أنت التى تقود فى المرة السابقة، لذا فقد كنت أنت الذى قررت أن ننصرف متأخرين.

- أرجو أن تكونى قد راهنتى على حصانى الأدهم يا آنسة فورستر؟

هكذا بادرها هوريس بلانتاير عندما وصلوا إلى ميدان السباق. كان يبدو منفرًا أكثر من آخر مرة رأته فيها روما.

أجابته فى برود لم تملك إخفائه:

- لست ممن يراهنون..

ورغما عنها التوى أنفها وشفتاها فى حركة دلت على امتعاض شديد لم يخطئه الرجل الذى لمع الغضب فى عينيه من ردها الغليظ عليه.

تمتمت روما فى نفسها:

- ها أنا أزيد الأمور تعقيدًا. لن يمكننى استشارته فى أمر المدرب الجديد الآن.

وبداخلها تصارع الارتياح مع خيبة الأمل على كونها أحرقت مراكبها ولم يعد أمامها من أحد آخر غير إيرل لتلجأ إليه.

انقضى السباق فى سرعة وبطريقة بدت لعينى روما روتينية حملة. وكالعادة فاز فرس بلانتاير بالسباق.

أقبل بلانتاير على إيرل وضرب ظهره بيده قائلاً فى فرح:

- يجب أن تأتى لتشاركنى فرحتى بالفوز يا رجل.

وشبا على قديمه ليفعل ذلك فابتسمت روما رغمًا عنها، ابتسامة

ازدادت اتساعها والرجل البدين السمج قد بدأ يوزع المشروبات على الجميع دون تفرقة ابتهاجًا بالفوز.

مد بلانتاير يده إليها بزجاجة كوكلا لكنها حاولت الاعتذار قائلة:

- لن أستطيع حقًا و...

لكنه دسها فى يدها فى تصميم. تناولتها تنظر إليها فى امتعاض. إنها لا تحب شرب الكولا وتعرف أضرارها الصحية الكثيرة. كما أنها شربتها فلن تشربها من يد بلانتاير السخيف هذا. وقفت تنظر إلى الزجاجة فى حيرة. ماذا تفعل بها؟

أقبل نحوها إير هاماً فى أذنيها:

- صبيها فى صندوق القمامة الذى خلفك. لقد أرسلت محتويات زجاجتى فى نفس الرحلة من ثوان.

وكتمت روما ضحكاتها فى لأى شديد لكن عيناها فاضتا بالضحك والتوى طرفا شفتيها الواهة لم تستطع منعها.

دق بلانتاير صدره بقبضته قائلاً فى زهو:

- لقد فعلها حصانى اليوم! أجل لقد رأى الكل كيف يكون السباق!.

ثم رفع رأسه ونظر فى عنى روما. ومرة أخرى عاد الغضب يلمع فى عينه إذ رأى الضحكات التى تتراقص فى عينيها وظن أنها تضحك سخرية منه.

زفر بلانتاير فى ضيق وقال فى تهكم شديد:

- ربما كان عليك أيتها الآنسة أن تستعيرى حصانى ليريك طريق العودة من السباق إلى بيتك بدلاً من المبيت على جانب الطريق. أم تراك فرحت لأن الأمور سارت على هذا النحو؛ فالضباب يخفى وراءه الكثير..

ثم قهقه ضاحكًا فى سخرية شديدة.

شهقت روما من وقاحته وصاحت فى غضب:

- كيف تجرؤ على قول هذا!!

رد فى غل:

- لا تتغابى علىَّ يا فتاة. أعلم جيدًا أنك ومدربك حبسكما الضباب، هكذا أخبرتنى مديرة المنزل. ولو شئت الحق فهو عذر «لطيف».

وضغط على كلمة «لطيف هذه فى خبث وخِسَّة.

- يكفى هذا!!

انطلق صوت إيرل فى حدة وحزم قاطعًا على الرجل جملته، وليشق الصمت الذى خيم فجأة على الغرفة.

احتقن وجه روما بشدة وكادت الدماء بسبب الغضب الشديد تتفجر من وجنتيها، ثم هربت الدماء فى سرعة من وجهها الذى بدا شاحبًا شحوب الموتى.

ازدردت ريقها فى صعوبة وغمغمت:

- إيرل؟

كانت ترى كل العيون فى الغرفة موجهة نحوها تقريباً وتكاد تخترق وجهها.

- إيرل؟

غمغمت مرة أخرى بصوت متحشرج. لماذا لا يتكلم؟ لماذا لم يصح فى وجه بلانتاير وينفى كل ما لمح له هذا الرجل الحقير.

- ميك خذ روما إلى الخارج وانتظرانى فى السيارة.

أتاها صوته آمرًا فى حزم وحدقت فيه كالمصعوقة. إنه لا يحاول بأدنى جهد أن ينفى كل تلك التلميحات الكاذبة! أحست بالغضب العارم من سلبيته.

ربَّت ميك على ذراعها قائلاً فى هدوء وحنان:

- تعالى معى يا آنسة روما.

لكن فجأة تلاشى غضبها العارم وأحست بوهن شديد فاستسلمت لذراع ميك الذى قادها إلى الخارج وهى لا تشعر سوى برغبة جارفة فى البكاء، وكما لم تبك من قبل، لكنها لن تبكى.. أجل لن تبكى أمام هوريس بلانتاير. ولا أمام إيرل. لابد أن تهرب بسرعة قبل أن تتهمر الدموع من عينيها لتكتب مشهد النهاية فى مسرحة إهانتها على هذا النحو السخيف.

عاونها ميك على الجلوس فى المقعد الأمامى للسيارة قائلاً:

- أجل. هكذا.

www.elromancia.com

ثم عاونها على تثبيت حزام المقعد المجاور لمقعد السائق، مقعده هو المقعد المجاور لمقعد إيرل، لكنها كانت قد فقدت كل قدرة على الاحتجاج، من أثر ما تعرضت له من دقائق.

طمأنها الجوكى قائلا فى لطف:

- سننطلق فى طريقنا خلال لحظات. ها هو الريس قد جاء ومعه ستيف إن هذا لم يستغرق وقتًا طويلاً.

وفاضت نبراته بالرضا، وتساءلت روما فى نفسها عما يكون قد عناه بكلمة «هذا».

وقبل أن تفتح شفتيها لتسأله دلف إيرل إلى مقعد القيادة بجوارها. بعد بأن رماها بنظرة فاحصة سريعة ودت لو واجهتها لكنها لم تستطع.

لابد أنها نامت. وأيقظها صياح جرس زاعق. لقد كان عاليًا جدًا ولدرجة لا يمكن أن يكون معها جرس المنبه الموضوع إلى جوار سريرها. بدا وكأنه يطاردها ويقترب منها أكثر.. وأكثر..

- يا إلهى!

لقد أصبح بجوارها تمامًا، ورفعت يديها لتعجب أذنيها لكيلا يصل إليها ذلك الصوت المخيف. استدارت الرينج روفر فى حدة ثم توقفت وانفتحت عينا روما، فى يقظة فزعة لترى إيرل يدخل بالسيارة فى مدخل أحد الحقول ليفسح الطريق لسيارة إطفاء بلونها الأحمر الفاقع المميز، وهى تنطلق فى سرعة إلى مهمتها العاجلة.

تمتمت فى ضعف:

- لقد وصلنا إلى المنزل تقريبًا.

وتعرفت عيناها على صف الأكواخ وعلى تفريعة الزقاق التى يؤدى أحد طرفيها إلى الكورت.

علق ستيف قائلاً:

- لا يمكن أن يكونوا ذاهبين إلى القرية. ولا يمكن أن يكون حدث حريق بسبب الألعاب النارية فلابد أنها قد انتهت الآن.

رد إيرل فى صرامة:

- لا يمكن أن تكون ذاهبة إلا إلى مكان واحد فقط فى هذا الاتجاه. إلى «اصطبلات» بيردون كورت.

* * *

فـراق الأحبـة

بدا المشهد جزءًا من كابوس مرعب. كان الدخان يتدفق فى غزارة من سطح غرفة السرج بينما أخذت ألسنة برتقالية من النار تلتهم فى شراهة إطارات النوافذ.

وبينما روما تحدق فى المشهد المرعب أخذ زجاج النوافذ ينفجر ويتطاير فى شظايا مرعبة غمرت المكان كله. قفز إيرل من السيارة بعد أن أوقفها خلف سيارة الإطفاء، وقفز الرجال الثلاثة خارجين من السيارة فى نفس اللحظة معًا.

صاح إيرل مخاطبًا ميك وستيف:

- اذهبا وعاونا فى اخلاء الاصطبلات القريبة من غرفة السرج.

ثم استدار صائحًا بروما التى كادت تنزل من السيارة:

- ابقى مكانك. ستكونين فى أمان أكثر فى السيارة.

ثم اندفع إلى باب غرفة السرج التى كان الدخان يتدفق منها إلى الخارج فى كثافة.

صاح ستيف:

- دع هذا واذهب إلى الذى بعده! سأتول أنا أمر الحصان الأسود.

واندفع تجاه حجرة الحصان الأسود الذى كان يقاتل فى جنون للخروج منها والفرار بعيدًا عن النار، محولاً كل ما فى الحجرة من خشب إلى شظايا متناثرة.

صاحت روما وهى تترجل من السيارة فى فزع شديد:

- إيرل.. إيرل... كن حذرًا يا إيرل!

ووقفت فى مكانها وقد تجمدت من الخوف عندما دفع باب الحجرة الذى سده الدخان واختفى بداخلها. مرت الدقائق بطيئة ثقل دهور طوال.

استمر صوت الرفس والضرب فى الهجوم على أذنيها، وكانت أصواته ضربات مخيفة وكأنها حوافر حديدية تضرب فى خشب. ثم توقف الصوت وسرت موجة باردة من الرعب فى أوصالها، جعلت باحة الاصطبل تغيم أمام عينى روما. إن ضربات الحوافر على الجسد البشرى لن تحدث أصواتًا..

- إيرل.. إيرل.. حبيبى! أين أنت؟!

وتنهدت فى فزع وهى ترى شيئًا ضخمًا مترنحًا من باب الاصطبل.. كان شيئًا داكنًا ومشوهًا يبدو مثل حصان ضخم مقطع

الأوصال، وكان يرتدى سترة إيرل.

- لابد أننى قد جننت!

تمتمت روما تحدث نفسها فى ذهول.

انطلق صوت الجوكى يصيح قائلاً:

- انتظر يا ريس سأساعدك على قيادته.

وساعدت صيحة الجوكى فى انقشاع الظلام عن عقل روما المشوش ومدت أصابع مرتجفة تمسح الدموع الفزعة من على عينيها المشوشتين.

- إيرل! إنه فى أمان!

صاحت فى فرح عارم. لقد كان فى أمان ولم يرفسه الحصان.

لقد كان ذلك المخلوق العجيب الذى بدا من باب الاصطبل، كان فعلاً حصانًا!

- لقد كان ذلك الجواد الأسود الذى حول اسطبله إلى أشلاء متناثرة وقد كان يرتدى سترة إيرل!!

حبست روما أنفاسها لتمنع ضحكة هستيرية كادت أن تطلقها شفتيها، مختلطة بتهيدة ارتياح عميقة.

- سأمسك أنا بجانبه هذا.

هرول ميك ليمسك بأحد جانبى الحصان وليتعلق به لكيلا يقفز فى الهواء مرة أخرى.

- لقد خرجت كل الخيول الباقية. لقد خرجت أهدأ من هذا الحصان.

- خذهم إلى منطقة التدريب الداخلية، وبردها، وسر بها فى حلقات حتى تهدأ تمامًا. انطلق صوت إيرل يوجه الجوكى.

وأضاف إيرل فى حزم:

- هيا سألحق بك عندما أطمئن على الأمور هنا.

وأشار إلى رئيس فرقة الإطفاء الذى أقبل نحوه قائلاً:

- كل شىء على ما يرام الآن يا سيد بيدجيت. لقد كلفت رجالى بالتأكد من عدم وجود أى شىء مشتعل بالمكان والأطمئنان إلى سلامة المكان قبل المغادرة.

ثم رفع سبابته وأضاف محذرًا فى جدية:

- لا تستخدم كهرباء داخل الاصطبلات قبل الغد. لقد فصلناها. لابد أن تحضر كهربائيًا ليفحصها.

قطب إيرل جبينه سائلاً:

- الكهرباء؟ لماذا..؟

رد الرجل بلهجة الواثق مما يقول:

- يبدو أن هناك ماسًا كهربائيًا بأحد المفاتيح التالفة فى غرفة السرج يا سيدى. لقد ترك أحدهم مصباح الغرفة مضاءًا وقد تسبب ذلك فى حدوث ماس كهربى تسبب فى إشعال النيران التى سرعان ما

انتشرت بالمكان.

هز إريل رأسه متفهمًا وشكره فانصرف الرجل ليعاون أفراد طاقمه على رفع المعدات من مكان الحريق.

هرولت روما نحوه صائحة فى فرح:

- الحمد لله أنك بخير! عندما اختفيت فى هذا الاصطبل ظننت.. كنت أخشى..

أمسك بذراعها فى عنف وصاح بها فى غضب:

- يا لصفاقتك! أتجدين فى نفسك الجرأة لتفرحى بعد كل ما فعلت؟!

ردت فى صوت مصعوق:

- أنا؟ وما دخلى أنا بهذا الحريق؟!

أجابها فى غضب هادر:

- كل دخل! لقد سمعت ما قاله رجال الإطفاء للتو وأنا أصدقه فى كل حرف. إنك أنت التى تركت المفتاح موصلاً عندما دخلت إلى الغرفة لتحضرى سترة ستيف، رغم أنه حذرك من ذلك.

صرخت تدافع عن نفسها قائلة فى ذهول:

- كلا، لم أفعل ذلك.. أقسم..

لكنه قاطعها فى غضب قائلاً:

- لا تقسمى، فلن أصدقك! أهذه هى الطريقة التى حدثك عقلك

لتنتقمى بها منى لأننى أمرتك أن تأخذى مهرتك بعيدًا عن هنا؟ للأسف يا آنسة طريقتك لم تنجح.

حدقت فيه غير مصدقة وصاحت فى ذهول:

- كيف يمكنك أن تفكر فى ذلك؟

أشاح بيده فى غضب قائلاً وهو يضغط على حروفه:

- أقسم أن أجعلك تدفعين ثمناً باهظاً مقابل مالحق بالاصبطلات من الخسائر.

أتاه ميك قائلاً:

- هل يمكنك أن تأتى يا ريس لتعاوننا فى السيطرة على ذلك الجواد الأسود، فلازال هائجًا..

رد إيرل فى اقتضاب:

- سآتى.

ثم رماها بنظرة تفيض كراهية ثم استدار وتركها وانصرف.

- هل رأيت القطة «سواده» يا ستيف؟

سألته روما فى صباح اليوم التالى بعدما تناولت الإفطار وتوجهت إلى الاصطبلات لتلقى نظرة على فرستها كما أعتادت.

رد ستيف فى سرعة:

- لم أرها هذا الصباح يا آنسة روما، لكن لابد أنها فى مكان ما فى الكورت.

ثم استدار وصاح:

- هيه! اثبت مكانك!

كان مشغولاً بأمر طابور الخيول.

أضاف فى عجلة:

- لازالت الخيول عصبية حتى الآن. فبعدما حدث مع الصاروخ النارى وما سببه لها من فزع واضطراب جاء هذا الحريق ليزيد الأمر سوءًا!!

أجابته روما:

- أرى أنك لم تخرج كل الخيول. أين سيلفر كلاود؟

تدخل بوب قائلاً:

- لقد انصرفت سيلفر كلاود.

- انصرفت؟

- هل أخبرك إيرل بهذا؟

إذًا فقد نفذ تهديده؟!

- يا خلسته ونذالته أن يحدث غلمانه بشجارها معه فى الأصطبل.

- لن أسامحه أبدًا على ذلك.

تمتمت روما لنفسها فى سخط شديد.

بدا الارتباك والحيرة على وجه بوب الذى أجابها:

- لا لم يقل لى الريس ذلك يا آنسة روما. بل كان بإمكانى رؤية ذلك بوضوح. ففى العادة تأكل كلاكود علفها بشهية مفتوحة وتطلب المزيد، لكنها هذا الصباح انصرفت عنه وتركته دون أن تمسه.

انفرجت أسارير روما وغمغمت:

وهل تقصد أن..

قاطعها بوب قائلاً:

- أقصد أنها بدت غير راغبة على الإطلاق فى تناول طعامها. لقد فحصتها جيدًا ولم أجد أى علامات لنزلة بارد أو ارتفاع فى درجة الحرارة.

تدخل ستيف قائلاً:

- لن تحرجها للتمرين اليوم. أبقها تتمرين بالداخل ثم أعدها للأصطبل سيلقى الريس نظرة عليها بمجرد أن ينتهى مما فى يده.

علقت روما فى اهتمام:

- والحصان الأسود هو الآخر لم أره اليوم.

سألته روما فى توتر:

- هل تقصد أنه ترك الاصطبلات؟

- هل أخذه بلانتاير من هنا؟

وبدأ القلق يتصاعد فى نفسها من أن يكون «هوريس بلانتاير» قد سحب حصانه من الاصطبل بسبب ما حدث بينها وبينه.

www.elromancia.com

رد بوب:

- لا يا آنسة روما، ليس السيد بلانتاير هو الذى سحب حصانه، بل الرئيس هو الذى أمره بأن يأخذ حصانه من هنا ويذهب به إلى أى مؤسسة أخرى للتدريب.

وقفت روما تحدق فيه غير مصدقة لما يقول. هل فعل إيرل ذلك حقًا؟

تدخل ستيف قائلاً:

- يكفى هذا يا بوب. اذهب واعتنى بعملك ولا تصدع رأس الآنسة روما بثرثرتك الفارغة.

لكن بوب أجابه مدافعًا عن نفسه:

- أليس هذا ما حدث فعلاً؟

ثم خاطب روما قائلاً:

- لقد بدا الرئيس غاضبًا جدًا من السيد بلانتاير، يبدو أنه قد أساء إليه أساءة بالغة.

إذًا فإيرل قد طرد حصان الرجل من أجلها هى!!

سألتها روما فى دهشة:

- لكن ماذا عن ميك؟ إنه سيفتقد الحصان كثيرًا!

أجابها بوب فى بساطة:

- لا. لقد قال لى أنه لن يركب ذلك الأدهم مرة أخرى مهما كان

المقابل، ولست ألومه على ذلك وأنا عن نفسى...

قاطعه ستيف قائلاً:

- كفى يا بوب واذهب إلى عملك.

أجابه بوب فى سرعة:

- لماذا أنت غاضب منى؟

- ألم تقل أنت بنفسك أنك لن تعمل مع الأدهم هذا مرة أخرى؟

- وخصوصًا بعدما قاله السيد بلانتاير؟

أحست روما بأنها غير قادرة على تصديق أذنيها. لقد استعنى إيرل عن حصان واعد كان سيجلب له الكثير من المال، وذلك من أجلها هى. ليس هذا فحسب بل إن ميك أيضًا رفض ركوبه، وكذلك ستيف الذى رفض التعامل معه.. كلهم غضبوا من أجلها، وهى التى كانت تظن..

أجابه ستيف:

- ما قاله صاحب الحصان أو ما قلته أنا لا يعنى الآنسة روما هيا اذهب واعتنى بعملك.

- ولست أدفع أجرة صبيانى ليكرروا ما قاله الآخرين!

أتاهم صوت إيرل منطلقاً من خلفهم فاستداروا ثلاثتهم ينظرون إليه فى دهشة.

ثم أمر بوب بأن يعود إلى عمله وأخبرهم أنه سيذهب لفحص سيلفر كلاود ليرى ماذا أصابها. وقررت روما أن تذهب معه

بإصرار، وأخبرته بذلك لكنه تجاهلها وتوجه إلى حجرة المهرة وتبعته هى فى تصميم.

عندما وصلوا إلى حجرة المهرة أخذ إيرل يتفحصها فى اهتمام لكنه لم جيد بها شيئًا.

سأله إيرل بوب الذى كان مسؤولاً عن سيلفر كلاود:

- فى رأيك ماذا بها يا بوب؟ هل للأمر علاقة باختفاء القطة؟

وان قد علم أن القطة «سوادة» لم تظهر بعد.

أجابه بوب:

سألته روما فى قلق:

- وما الذى نستطيع عمله إذًا؟

أجابها إيرل فى غلظة:

- هناك شىء واحد فقط يجب عليك أنتِ أن تفعليه، هو أن تذهبى وتبحثى عن هذه القطة وتجديها بأى ثمن. وستذهبى بمفردك فلن أرسل معك أحد فتيانى بينما أنا فى أمس الحاجة إليهم، فلدينا خيول أخرى غير مهرتك لنعتنى بها.

ردت روما فى حدة:

- إنك لا تريد أن نعثر على القطة. ولست تبالى إن ساءت حالتها فذلك سيجعل فرص حصانك فى الفوز أكبر!

أجابها فى حدة:

- كفى عن هذا الهراء يا روما. إن فرص كلاود فى الفوز هى نفس فرص مينتى العربى، إن لم تكن أفضل، لأن الغلام المسؤول عنها هو الذى سيركبها فى السباق. إن بوب يعتنى بها ويطعمها ويسقيها وهى ترتاح إليه وعندما يقودها فى السباق فستبذل كل ما فى وسعها لتفوز به لأن فوق ظهرها شخص تثق به. ولهذا السبب لا أضع جوكى غريب على ظهر فرس صغير فى أول موسم له.

ردت قائلة:

- ولكن كلاود تعرف ميك جيدًا.

أجابها فى حسم:

- لكن ليس كما تعرف بوب. إنه يرعاها ويتحمل مسؤوليتها من أول يوم جاءت فيه إلى بيردون كورت.

أجابته فى سخرية:

- إذًا فدعه يواصل الاعتناء بها. اتركه يعاوننى فى البحث عن القطة.

أجابها فى حدة:

- لا. إنها غلطتك أنت وأنت التى ستذهب للبحث عنها، لقد تركت مفتاح الكهرباء فى غرفة السرج مضاءًا وأدى ذلك إلى نشوب الحريق، لذا لابد أن تتحملى أنت وحدك المسؤولية كاملة.

صاحت فيه فى غضب:

- قلت لك أننى لم أفعل ذلك. لست مسؤولة على الحريق ولم أفتح

مصباح الغرفة. ولن أتحمل مسؤولية دفع مقابل الخسائر التى حدثت! أما عن القطة..

سحبت نفسًا عميقًا وأضافت:

- سأذهب لأبحث عنها بمفردى يا إيرل دون مساعدتك وسأجدها و.. و..

ولم تكمل جملتها وإنما تفجرت الغضب من عينيها وأولته ظهرها وانصرفت بخطوات متعثرة.

* * *

السباق الأخير

قضت روما بقية النهار تبحث عن القطة المختفية، لكن دون جدوى وفى الصباح التالى نهضت من فراشها مبكرًا وأسرعت تغادر الكورت قبل أن تلتقى مع إيرل، فقد كانت لا تريد رؤيته مرة أخرى بعدما حدث بينهما بالأمس، وعلى الأقل ليس قبل أن تجد القطة.

قادتها قدماها إلى حيث المنزل الذى ورثته. عندما وصلت إليه اتسعت عيناها دهشة.. فالبوابة القديمة كانت قد ذهبت وحل محلها بوابة جديدة بدت ألوانها متألقة تحت شمس الصباح المشرقة.

دفعت البوابة ودخلت إلى حديقة المنزل الأمامية. لم تعد الحديقة تمتلئ بالأشواك والحشائش الشائكة القصيرة..! لقد تم تسوية أرضها وغرس العديد من أشجار الورد بها وقسمت إلى أحواض صغيرة تحفل بكافة أنواع النباتات الجميلة والزهور الناضرة. رفعت روما عينيها إلى سطح المنزل. لقد تم إزالة السطح القديم ووضع بدلاً منه سقف جديد

www.elromancia.com

أجمل، وأقوى.

- إن إيرل لم يضع وقته!

غمغمت فى تعجب من تلك السرعة التى تم بها العمل فى المنزل.

دارت حول المنزل ووجدت حوائطه قد دهنت بطلاء جديد لامع براق. كانت الإضاءة داخل المنزل خافتة.

فالباب مغلق وكذلك النوافذ ولا يتسرب سوى قدر ضئيل من ضوء الشمس عبر النافذة التى تسللت منها. كانت تجلس وظهرها إلى السلم. لمحت ظلاً يتحرك على طول درابزين السلم فى هدوء.

- يا إلهى! «سوادة»! لقد كدت أموت من الرعب!

نهضت تلتقط القطة التى قفزت على كتفها كما اعتادت وأخذت تخنخن فى ود.

- أين كنتِ أيتها الشقية؟ لقد بحثت عنك فى كل مكان.

تطلعت إلى القطة فى حنان ولطف وأضافت:

- هل تعلمين أيتها القاسية القلب أن كلاود ستقتل نفسها حزنًا على فراقك؟ بعد الآن لا..

لم تكمل عبارتها وتطلعت إلى باب المنزل فى توتر إذا دارت أكرته وكأنه هناك من يفتحه من الخارج. ثم ظهر إيرل على عتبته.

ناولته القطة فى امتعاض ونهضت واقفة.

أضاف:

- هيا بنا إلى الأصطبل. سأذهب بها إلى كلاود فهى فى أمس الحاجة إليها.

وبالفعل بحلول يوم السباق كانت كلاود قد استعادت لياقتها وعافيتها تمامًا وبدت فى أحسن حال. وتطلعت إليها روما فى فخر وفرح.

بادرها ستيف قائلاً:

- سباق فنتترز سباق خاص . تقام بعده دائمًا حفلة ويذهب كل من لهم علاقة بالسباق إليها لساعدوا الفائزين على الاحتفال.

قامت روما بعد الخيول المشاركة وغمغمت:

- هناك عشرين جوادًا.

علق إيرل على كلامها قائلاً:

- من المعتاد أن يكون بالسباق واحد وعشرون لكن أحد الجياد أصيب بعرج واستبعد من السباق.

ردت روما فى حنق ودهشة:

- إياك أن تكون قد استبعدت كلاود من السباق مرة أخرى! لقد كانت فى حالة ممتازة، ولقد قلت لى أنت نفسك أن أرضية السباق جيدة. وقلت أيضًا أنها فى حالة مثالية!

أجابها فى برود:

- لم أستبعد كلاود من السباق. لقد دربتها خصيصًا من أجله.

تدخل ستيف قائلاً فى سرعة:

- مينتى فى حالة ممتازة. إن الجواد المستبعد حصان غريب.

غريب مثل روما. تلاشى غضبها بنفس السرعة التى تفجر بها وأحست بوهن شديد وأنها غريبة وليس لديها أمل فى أن تمثل أى شىء بالنسبة لإيرل قد تجد مدربًا آخر لمهرتها، لكن لم يكن ذلك ما تريده. إنه إيرل، وليس عالم إيرل، هو ما تريد. إيرل هو الجائزة التى تتوق نفسها للفوز بها، وبدونه فإن مهرتها ومنزلها وكل ما يمثلانه لا يعنيان لها شيئًا.

وبدأ السباق وكالعادة رفع إيرل منظاره المقرب إلى عينيه بينما اكتفت روما بمتابعة صورة الجياد المنطلقة المشوشة من بعد المسافة، والتحسر على عدم امتلاكها لمنظار مثل منظار إيرل.

كان السباق عنيفًا وقويًا. وكالعادة بدأت أعداد الجياد المتسابقة تقل مع تقدم مسار السباق وتخطى الحواجز. وعندما اقترب الحاجز الثالث تخاطه حصانان لهما نفس اللون، أحدهما كان حصان إيرل، وخلفهما كلاود التى تخطته فى سهولة وسرعة.

لكن الحصان الآخر الذى كان يسابق مينتى تعثر بعد تخطيه الحاجز وانطلق مترنحًا يمنة ويسرة وكاد يصطدم بحصان إيرل، الذى امتطى ميك صهوته، لولا أن تفاداه ميك فى براعة. واستغل بوب الذى كان يمتطى صهوة كلاود، الموقف وتقدم السباق ينهب الأرض نهبًا

وخلفه «مينتى العربى» الذى تأثر كثيرًا بتلك الحادثة.

وفى النهاية صاحت روما فى فرح هائل:

- لقد فازت كلاود! فازت كلاود! فازت!

وودت لو صاحت بها فى وجه إيرل، لكنها لم تجرؤ. فرغم كل شىء لقد تفوقت مهرتها على حصانه وفازت بالسباق، محرزة نصرًا حاسمًا قاطعًا.

لكن ستيف غمغم فى تردد:

- ربما أنت مخطئة يا آنسة. من حق الرئيس أن يقدم احتجاجًا للجنة التحكيم.

حدقت فيه روما فى ذهول وغمغمت:

- احتجاج؟ ماذا تقصد؟

أجابها فى برود:

- تلك الحادثة. إن مينتى كاد يفوز لولا ذلك الجواد الذى اعترض طريقه وكاد يصطدم به فاضطر لتفاديه مما أخره وأعطى الفرصة لكلاود لتفوز.

ثم التفت إلى إيرل متسائلاً:

- هل ستتقدم باحتجاج يا رئيس؟

ونظرت روما إلى إيرل فى دهشة واضطراب:

لكن إيرل رد فى حسم:

- لا. لقد كانت مجرد حادثة غير مقصودة. هذه هى أقدار السباق ولابد أن نقبل بها.

ثم لانت ملامحه والتفت إلى روما مضيفًا فى لطف:

- هنيئًا لك الفوز يا روما. حان دورك لتتقدمى إلى منصة التتويج.

أمسكت بلجام المهرة بأصابع مرتعشة وأشاحت بعينيها بعيدًا. وسمعت صوتها يهنئ بوب على أدائه ونجاحه. وخطر لها أن ما حدث اليوم إنما كان نجاحًا لهذا الجوكى المبتدئ، وليس لها هى.

انضم إليهم ميك قائلاً بروح رياضية:

- أحسنت يا بوب. لقد كانت جيدًا.

وعلق إيرل فى صدق:

- بل كان عظيمًا.

رفعت روما عينيها الذاهلتين تنظر إليه. لم تكن تتوقع مثل هذا الرد من المدرب.

أضاف يخاطبها فى ود:

- هيا قودى بوب إلى منصة التتويج. إنه ينتظرك.

ها هى اللحظة التى انتظرتها طوال الأسابيع الماضية قد حانت. لحظة الانتصار.

- لكن ما بالها تشعر بالتعاسة والحزن الشديد؟

أمسكت بكم إيرل وناشدته:

- أرجوك تعال معى.

وبالفعل رافقتها لكنه تأخر إلى الخلف قليلاً ليفسح المجال أمام عدسات المصورين لتلتقط لها صور النصر. ولم تستطيع أن تتحمل لأكثر من هذا.

انهالت عليها التهانى من كل جانب. وصافح يديها أناس بدت وجوههم مشوشة غائمة لم تستطع تذكرها فيما بعد.

- لقد كسبت السباق وخسرت الجائزة.

أجل الجائزة الوحيدة التى كانت تتمناها. الجائزة الوحيدة التى طالما اشتاقت نفسها وتاقت إليها بكل خلجة من خلجاتها. خسرت إيرل. إن دولابًا كاملاً مليئًا بالجوائز لن ينسيها الحقيقة المرة. أنها خسرت إيرل. وإلى الأبد.

- وتهانًى على فوزك.

قالها لها إيرل بصوت حالم وهما يقفان معًا فى شرفة الغرفة التى كان الاحتفال يقام بها.

صرخت فيه فى انهيار:

- أرجوك! ما عدت أحتمل هذا! إن كنت لا تحبنى لا تهنئنى!

ظل ينظر إليها لحظات فى صمت.. وهدوء كالهدوء الذى يسبق

www.elromancia.com

العاصفة.

تصاعدت أنغام أغنية هادئة تتسلل عبر باب الشرفة إليهما..

- أحبنى... أحبنى إلى الأبد.

كان صوت المغنى العذب يناشد ويتوسل.. وكأنما يتحدث بلسانها هى.

- أحبك... أحبك أنت حبى الأول.

لا ليس هذا صوت المغنى! بل صوته.. كلامه.. إيرل!

كرر مرة أخرى وهو ينظر فى عينيها نظرات حالمة:

- أحبك.. أحبك دائمًا وسأحبك إلى الأبد. منذ جئت إلى الكورت وقابلتك لأول مرة لم تعرف حياتى الهدوء، ولا عرف عقلى طعم السكينة. منذ أول مرة رأيتك فيها فى حديقة المنزل، أحببتك وتسللت إلى قلبى رغمًا عنى.. حديقة المنزل؟

- ياه! يبدو ذلك وكأنما حدث من دهور!

غمغمت فى ذهول:

- ولكنك لم تكن تريدنى أن أعيش فى المنزل.

- أجل كنت أريدك أن تعيشى معى ففى الكورت. زوجة لى.

غمغمت فى خفوت:

- يمكنك أن تشترى المنزل لأحد عمالك.

أجابها فى رقة:

- لا أريده. لقد جددته لأرضيك.

- لقد أنهى الرجال العمل به تقريبًا.

- سرعان ما يكون جاهزًا للسكن.

رد فى سرعة:

- يمكنك تأجيره. سيوفر لك ذلك بعض المال. ربما يستأجره منك ستيف، فأنا أعرف أنه يوشك أن يخطب فتاة. ما إن ينتهى الرجال من المنزل إلا ويبدأون فى إصلاح الخسائر التى سببتها الحريق لمبنى الأصطبل.

أسرعت تقول:

- لم أكن أنا الذى سببت الحريق.

رد فى هدوء:

- أعلم ذلك. لقد كان ستيف وويلى يعملان فى الصندوق السائب بجوار صندوق كلاود، كان معهما بوب، وقد سمعونى وأنا أتهمك بذلك. جاءوا واعترفا لى بالحقيقة. كنت سأقول لك كل شىء لولا أننى لم أستطيع الاختلاء بك من ساعتها.

غمغمت فى دهشة وقلق:

- من المؤكد أنهما لم..

www.liilas-romantic.com

أكمل لها فى سرعة:

- لم يقصدا ذلك. لقد كانا يحاولان رد الجميل لى لأنى أعطتيهما يومين راحة. حاولا إصلاح المفتاح التالف، لكن لسوء الحظ فهما لا يعلمان شيئًا عن الكهرباء. لقد أوصلا الأسلاك الخطأ فحدث ماس والباقى تعرفينه.

تمتمت فى سرور:

- الضباب والحريق والخيول الجامحة. الحياة فى الاصطبلات صعبة.

رد متوسلاً:

- لكنك ستشاركيننى فيها، أليس كذلك؟

- عدينى بذلك يا روما، أرجوك.

غممت بصوت رقيق:

- سأفعل.

www.elromancia.com
مرموزة